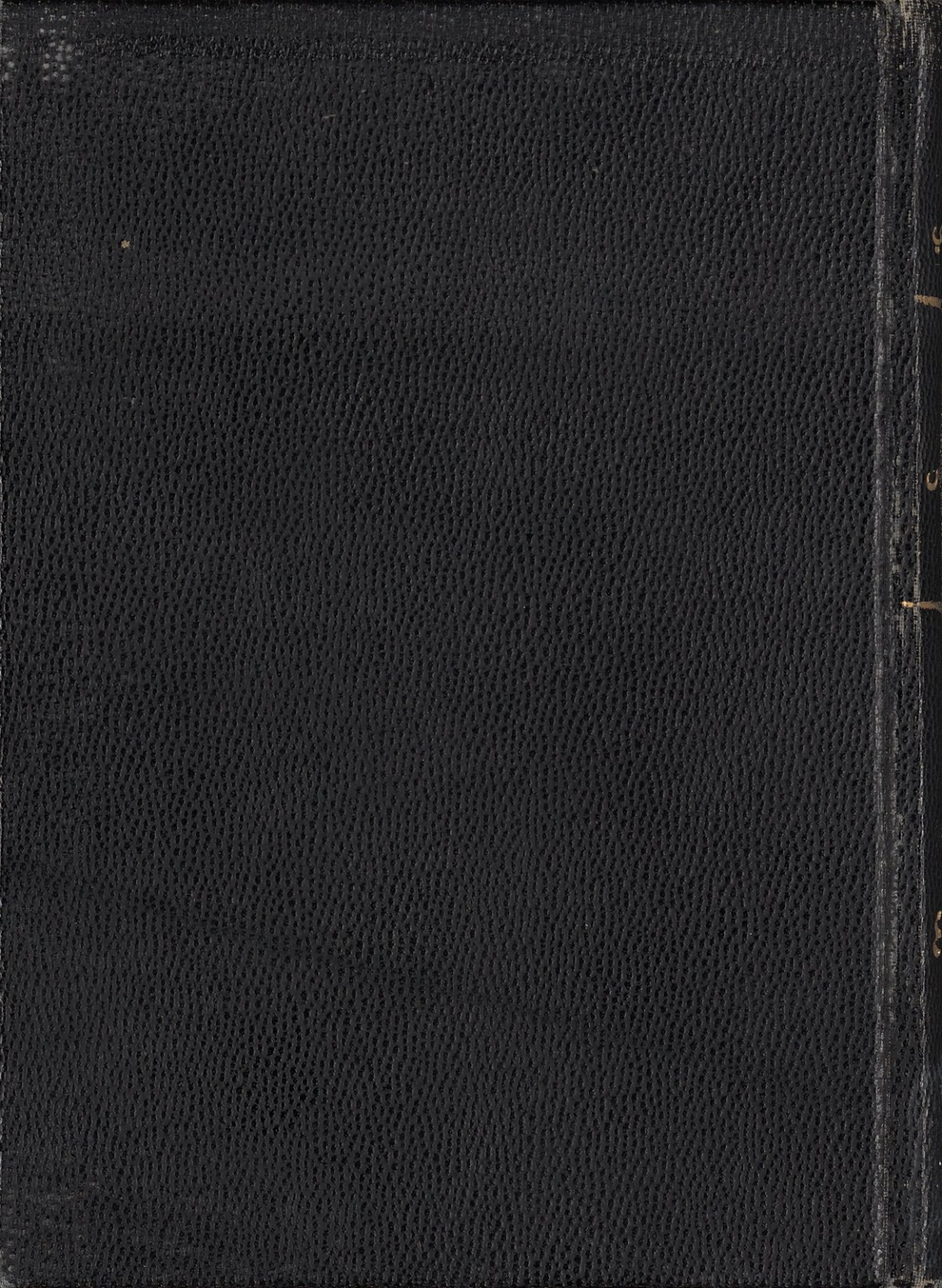




تجلید صالح الدقر

تلفون ۲۲۹۷۷









892.709

Q6/21A

١

# النقائس

سلسلة أدبية تبحث في الشعر والنثر  
تهتم الطالب والباحث والمدرس

## الوصف في شعر النابغة الذبياني

وصحة نسبة الشعر لجاهلي

بقلم

طه محمد القاضي

( ليسانس في الأدب العربي )

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

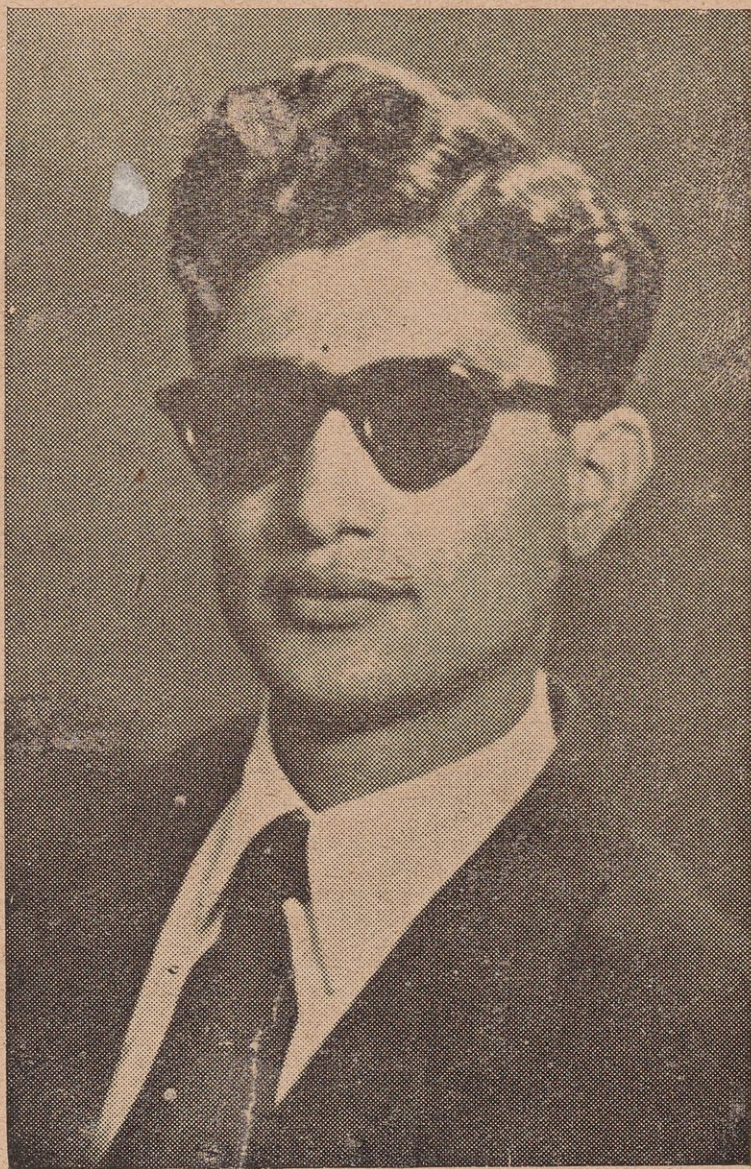
بيروت آذار ١٩٥٥

الطبعة الأولى

## للمؤلف

- ١ الحب والجمال ومقالات اخرى ( نقد )
- ٢ احاديث الامسيات ( نقد ) وصادرته الحكومة الاردنية ومنعت تداوله في الاردن بحجة انه يمس الدستور الاردني
- ٣ على مسرح الحياة ( الجزء الاول )
- ٤ مصرع العدالة . منع من دخول الاردن والعراق والمغرب العربي والسعودية والمحميات .
- ٥ ضحايا وقرابين .
- ٦ خلجات واحاسيس . ( تحت الطبع )
- ٧ على مسرح الحياة ( الجزء الثاني ) يصدر قريباً
- ٨ منتخبات من التراث الانساني يصدر قريباً
- ٩ هل العرب بشر ؟ يصدر قريباً
- ١٠ ايام مع ليلى الجميلة يصدر قريباً
- ١١ ذات العينين الخضراوين يصدر قريباً
- ١٢ الوصف في شعر النابغة الذبياني وصحة نسبة الشعر الجاهلي
- ١٣ الوصف في شعر امرئ القيس يظهر قريباً في سلسلة النقائس
- ١٤ الوصف في شعر الاعشى : يظهر قريباً في سلسلة النقائس
- ١٥ مراحل النثر القديم الجزء الاول » » » » »
- ١٦ مراحل النثر القديم الجزء الثاني » » » » »
- ١٧ مراحل النثر القديم الجزء الثالث » » » » »
- ١٨ القرآن اول كتاب نثري عند العرب » » » » »





صورة المؤلف



## المصادر والمراجع



الروائع : النابغة الذبياني : ٣٠

ابن قتيبة : الشعر والشعراء طبعة De beose ، ليون ١٩٠٢

ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني ، بولاق ١٨٦٨ خصوصاً الجزء ٩٠

عبد القادر البغدادي : خزانة الادب ، بولاق ، الجزء ١

الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ، بيروت ١٨٩٠

## النابغة الذبياني

? ٦٠٤ ?

انقطع النابغة الى مناذرة العراق ، ثم الى غساسنة الشام فكان  
شاعر بلاط موفور الجانب ، مرغوباً في مدحه . ولكنه لم ينسَ  
في حالتيه قومه واحلافهم ، فكان يخوض سياسات القبائل المختلفة  
ويشير وينهى ، فيسمع صوته وتتفد كلمته . فجمع الى طرق  
المديح اساليب الشعر السياسي ، وكما انه كان الرجل المحنك المجرب  
كان الشاعر الحكيم الكامل .

عصره

عاش النابغة الى ما بعد مقتل النعمان ، بدليل ما ذكر صاحب  
الاغانى (١) من انه لما نعي النعمان الى النابغة وحدث بما صنع به  
كسرى ، قال « طلبه من الدهر طالب الملوك » ، ثم تمثل بابيعة .  
اما مقتل النعمان فكان نحو السنة ٦٠٢ ، وعليه فقد لا نخطيء اذا  
اخذنا بقول بعض المؤرخين ان النابغة توفي نحو السنة ٦٠٤ .

---

(١) الأغاني ٢ : ٣٩



ثم نحن نعلم أن النابغة من المعمرين ، « أسن » (١) وترك قول الشعر في آخر حياته . وكان شيخاً أبيض الشعر ، كما يقول هو نفسه ، اذ رثى للنعمان بن الحرث الغساني حوالي السنة ٦٩٩ ؛ وعليه فلا نستغرب ان يكون شاعرنا ادرك المُنذر الثالث ، ابن ماء السماء ، ملك الحيرة ( ٥٠٥ - ٥٥٤ ) فمدحه ، ومدح خليفته عمرو بن هند (٢) ( ٥٤٤ - ٥٧٠ ؟ ) .

### حياته - نشأته

#### اسمه - لقبه

زياد بن معاوية ، بن صنباب ... بن مرة ... بن ذبيان ، بن بغيض ، بن ريث ، بن عطفان الملقَّب بالنابغة الذبياني ، المكنى بأبي أمامة (٣) وأبي تمامة (٤) وأبي عقرب (٥) . اما لقبه فشرحه الرواة شروحات مختلفة . زعم بعضهم أنه دعي به لانه استعمل لفظة

(١) ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب ، ص ٦٣

(٢) راجع الديوان طبعة Derenbourg, p. 95

(٣) الأغاني ٩ : ١٦٢ ؛ والتبريزي : شرح القصائد العشر ص ١٥٢ ؛ والبغدادى : خزانة الادب ١ : ٢٨٧ (٤) التبريزي : الموضوع نفسه ، وهو يجعل امامة وتمامة بنتين للنابغة (٥) البغدادى : الوضع نفسه ، وهو يدعو بنتي النابغة امامة وعقرب .

« نبغ » في قوله :

وحلت في بني القين بن جسرٍ فقد نبغت لهم منا شؤون (١)  
وهو قريب من شرحهم لقب المهمل بقوله : « هلهات » (٢)،  
ولا نرى تحته كبير طائل ، فضلاً عن أن البيت المذكور لم يرد  
في ديوان النابغة . وزعم بعضهم أنه دعي النابغة لأنه لم يقل الشعر  
حتى صار رجلاً (٣) وذهب ابن قتيبة الى ابعـد من ذلك فقال :  
« نبغ بالشعر بعد ما احتنك وهلك وقبل أن يُهتر » (٤) وهو  
ما ينفيه كثير من ابيات الديوان التي نعرفها راقية الى شباب  
الشاعر . وقال غيرهم ان اللقب يدل على كثرة شعره وغزارة  
مادته ، من قولهم : نبغت الحمامة اذا تغنت ، ونبغ الماء ، ونبغ  
بالشعر فكانهم ارادوا أن له مادة من الشعر لا تنقطع كمادة الماء  
الناـبـغـة (٥) .

- 
- (١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٧٤ : الأغاني ٩ : ١٦٢ —  
البغدادي خزانة الادب ١ : ٢٨٧ .  
(٢) راجع الروائع ٣ : ب  
(٣) البغدادي : الكتاب المذكور ١ : ٢٨٧  
(٤) ابن قتيبة : الكتاب المذكور ، من ٧٠ .  
(٥) البغدادي : الموضع نفسه . — وقد اشتهر عدة « نوابغ » غير  
شاعرنا أشهرهم سبعة : النابغة الجعدي الصحابي — النابغة بن الديان الجارثي —  
الناـبـغـة الشيباني — النابغة الغنوي — النابغة العدواني — نابغة بن يربوع  
ويقال له النابغة الذياني ايضاً — النابغة التغلي .



## شبابه

نشأ النابغة في الوسط من قومه ، لا في الذروة من الشرف ،  
واذا فلا نرى معنىً لقول الرواة انه « أحد الأشراف الذين غفل  
الشعر منهم » (١) فضلاً عن ان الشعر لم يفضل من النابغة في شيء  
ولا نعرف عن شبابه سوى ما نقله ديبرسفال من مزاحمته  
حاتماً الطائي ورجلاً آخر على ماوية ، وفشله في ذلك (٢) .

## بين الحيرة ومدن غسان

في الحيرة : قبل ملك النعمان ابي قابوس  
وهكذا تمر الايام فنرى النابغة في الحيرة يمدح امراء اللخمين ،  
متصلاً ، على قول الرواة ، بالمنذر الثالث ، ابن ماء السماء ( ٥٠٥ -  
٥٥٤ ) . ونحن نرجح ان اتصاله بالمنذر - ان كان اتصل به -  
كان في أواخر ملكه ، اي قبيل السنة ٥٥٤ ، وهي السنة التي  
هلك فيها النعمان ، في معركة دارت بين جيشه وجيش الحرث بن  
جبلة الغساني قرب قنسرين ( حزيران ٥٥٤ ) (٣)

---

(١) الأغاني : ٩ : ١٦٢ ؛ ابن قتيبة : ك : م : ٧٤

(٢) De perceval, Essai sur l'histoire des arabes, 11, P. 613-616

الروائع : النابغة الذبياني : ٣

(٣) Ci. Hvart , Histoire des arabes. I, P. 60 وهي المعركة التي

يدعوها العرب « يوم حليلة » ، كما سيأتي .

الروائع : النابغة الذبياني : ٣٠

ويظهر أن شاعرنا لم يترك اللخمين بعد اندحارهم ، بل شهد  
ارتقاء عمرو بن هند العرش خليفةً لابيه ، فهناه بقصيدة ذكرت في  
ديوانه (١) . الا ان ابن هند لم يكثر له كثيراً ؛ بدليل اننا  
نرى فيه غير تلك القصيدة من شعر النابغة ، ولا يذكر الرواة  
شيئاً مهماً عن انقطاع الشاعر اليه .

وكذلك لا يكاد الرواة يذكرون شيئاً عن اتصال النابغة  
بقابوس ( ٥٧٣ - ٥٧٣ ؟ ) خليفة عمرو بن هند ، ولا بالمنذر  
الرابع ( ٥٧٣ - ٥٨٠ ؟ ) خليفة قابوس ، ووالد النعمان الثالث  
ابي قابوس ؛ الا ما ذكره ابن قتيبة من ان النابغة « كان مع  
النعمان بن المنذر ، ومع ابيه ، وجده ، وكانوا له مكرمين ، (٢)

### اهتمامه بقومه - الشاعر السياسي

ولعل من اسباب ذلك ان النعمان كان ، في هذه الفترة ؛ مهماً  
كل الاهتمام بسياسة قومه الداخلية ، وعلاقاتهم مع حلفائهم من  
جهة ، ومع اعدائهم من جهة اخرى . وهو لم يصرفه عن الاهتمام  
بهم شيء في حياته كلها ، فقد كانوا اذ ذاك اشد ما يكونون

(١) الديوان ، ص ٩٥

(٢) ابن قتيبة : ك.م ص ٧٤ - ٧٥



حاجة الى عنايته ونفوذه بسبب حرب السباق المضطربة في بلادهم  
بينهم وبين العباسيين : وبسبب الغزوات التي كانوا لا يزالون  
يولونها على حدود المناطق الغسانية .

اما حرب السباق ، او حرب داحس والغبراء التي بدأت ، على  
رأي دي برسفال ، حول السنة ٥٦٨ ؛ (١)

وكان هم النابغة فيها ان يحفظ لقومه الذبيانيين حلف بني اسد  
وبني تميم ؛ كي يقووا على مقاومة العباسيين واحلافهم من بني عامر  
ويظهر من الديوان ان الشاعر كان يميل خاصة الى الاحتفاظ ببني  
اسد الذين كان له عندهم يد بيضاء منذ يوم حليلة ، اذ اسر الحرث  
ابن جبلة الغساني كثيراً من الاسديين ؛ حلفاء المنذر ، فشفع النابغة  
فيهم لدى الحرث

ولكن هذا الحلف لم يكن ليروق العباسيين ولا العامريين ،  
فأخذوا يعملون على افساده بالتهديد تارةً وبالتخليق اخرى .  
فكان النابغة يرد عليهم ويناضل ، يهجو الأعداء تارة ويمدح محالفيه  
اخرى ، متبسطاً في ذكر مفاخرهم الحربية وتعدد قواهم . وان

---

(١) راجع الروائع ٢٥ في زهير بن ابي سلمى ، ص : بويويا واطلب في  
l'histoire des arabes T. II, P. 494-536 ذكر تلك الحرب ،  
de perceval. Essoir

من يطلع على الديوان (١) يرى صورة تامة لحياة القبائل الحربية  
اذ ذاك ، وتاريخاً اميناً لما آتتهم ، مع ضبط عددهم واسمائهم  
ومعداتهم ، ودليلاً واضحاً على مقدرة النعمان السياسية واسلوبه  
المرن في ما خص المناظرات والمناقشات ، اسلوب لا نخطيء ان  
نعتناه بالصحافي .

وكما انه دافع عن احلافه في تلك الحرب الداخلية ، دافع عن  
قومه كذلك في غارتهم على ارض غسان .

بعد يوم حليلة ( سنة ٥٥٢ ) الذي قُتل فيه المنذر الثالث ،  
استحكم العداء بين الغسانيين والمناذرة مدة طويلة ، ولم تقع بينهم  
معركة تستحق الذكر الا وقعة عين اباغ في ٢٠ ايار ٥٧٠ ، انتصر  
فيها المنذر بن الحرث الغساني على قابوس . الا أن المناوشات  
كانت مستديمة بين الفريقين ، وكانت القبائل المجاورة للتخوم  
تغتني هذه الفرصة فتعيث كل منها في ارض جاريتها ، ثم تلجأ الى  
ارض محالفيها من ارباب الدولتين . وكان في جيش الحيرة كتيبة  
من بني فزارة ، وهم فرع من ذبيان ، فكانوا يدفعون قومهم ،  
فيغيرون مع احلافهم من بني أسد على ارض غسان ويعودون

---

(١) ولا سيما قصائد ٥ و ١٢ و ١٣ و ١٨ و ٢٥ في طبعة دير نبورغ

ص : ٧٩ ، ٩٣ ، ٨٩ ، ٨٥ ،



أحياناً غانمين حتى إذا ردهم عسكر الغسانيين واسر منهم ، لجأوا إلى النابغة فشفع بهم على عادته . وقد حفظ لنا التاريخ ذكر بعض حوادث من هذه المناوشات منها أن حصن بن حذيفة الفزاري أغار في قومه وأسد على حدود غسان ، فاغضب الحرث فسير رجالاً أسروا عدداً من الاسديين والفزاريين . فكان على النابغة أن يشفع بهم ، فقال النعمان بن الحرث ، « وكان شديداً غليظاً » : « ان حصناً عظيم الذنب الينا وإلى الملك » . فاجاب النابغة : « ابيت اللعن ان الذي بلغك باطل » ثم قال قصيدة يبرز فيها حصناً وقومه ويستعطف الملك . (١) ونعرف حادثة أخرى كان الهجوم فيها من قبل الغسانيين ، اذا غار النعمان بن وائل بن جـُـلاح ، قائد الحرث ، على بني ذبيان فسبي منهم ، وكان بين السبايا عقرب بنت النابغة فلما عرفها قال : « والله ما أحد اكرم علينا من ابيك ، وما انفع لنا عند الملك ! » ثم جهزها وخلّاها . ويزيد الراوي : ثم قال : « والله ما ارى النابغة يرضى بهذا » فأطلق له سبي غطفان وأسراهم . فمدحه النابغة (٢) . وللنابغة قصيدة أيضاً يحذر فيها قومه من انتهاكهم حرمة ذي أقر ، وهو وادٍ كان قد حماه النعمان

(١) الديوان من ٧٨ - وشعراء النصرانية ص ٥٥٢

(٢) الديوان ص ٩٦ - وشعراء النصرانية ص ٦٦٨

ابن الحرث الغساني (١) .

فيلتج بما تقدم ان النابغة كان ذا صلة بالغسانيين وان صلته  
هذه سبقت الوحشة بينه وبين النعمان بن المنذر ، بل سبقت صلته  
بالنعمان المذكور ، وهو أمر قلما وقف عنده مؤرخو الأدب . على  
انه ناتج مما تقدم ، يعززه ايضاً قول النابغة نفسه في احدي  
اعتذارياته للنعمان ابي قابوس :

ملوك واخوان ، اذا ما اتيتهم احكم في اموالهم وأقرب (٢)  
يريد بهم الغسانيين الذين كثروا يكرمون وفادته فيطلقون  
أسرى قومه ، كما ذكرنا ، ويبالغون في اكرامه من قبل أن  
ينقطع اليهم .

### في بلاط النعمان

نحو السنة ٥٨١ ، رقي النعمان الثالث ابو قابوس ، ابن المنذر  
الرابع ، عرش الحيرة ، وكان سيداً حازماً جباراً يحب ان يظهر  
بظهر الملك العظيم ، ويرمي خصوصاً الى التغلب على الغسانيين —  
الذين كانوا قد كسروا اللاحمين مرتين في موقعتين شهيرتين ( يوم  
حليمة سنة ٥٥٤ ، ويوم عين اباغ سنة ٥٧٠ واحرقوا الحيرة سنة

---

(١) الديوان ص ٨٤ — وشعراء النصرانية ص ٦٧٨

(٢) اطلب المنتخبات ، ص ١٣



٥٨٠ - ومنافستهم في كل شيء ، حتى في مظاهر اللهو والترف .  
فاغدق العطايا على الشعراء حتى استقدمهم من جميع اطراف  
الجزيرة العربية ، فكانوا يمدحونه ويقيمون في بلاطه ما شاؤوا ،  
ثم يعودون بعطاياه متفتنين بمدائحه في اسفارهم الطويلة .

ولم يكن النابغة ، الذي حفظ ذكراً جميلاً لعطايا اسلاف  
النعمان ، ليضيع هذه الفرصة ، فتترك جوار الغسانيين ، وكانت  
عليهم اذ ذاك الحارث السادس الاصغر ، وقدم الحيرة . فاستقبله  
النعمان بكل ما يليق به - هذا الشاعر العظيم ، والسياسي المحنك ،  
الذي قد يرجح كفة المناذرة على الغساسنة اذا رغب . وقد  
انقطع اليه الشاعر كل الانقطاع حتى أت الروايات ، التي  
نراها قليلة ضئيلة في ما خصّ ما آتي النابغة قبل هذا العهد ، تكثر  
وتتزايد ، بعد اتصاله بالنعمان ، كأن لم يمدح النابغة غيره من  
الملوك ، وحتى ان تاريخ الادب لا يذكر اسم النابغة الا اردفه  
باسم النعمان فقرن اسميهما ، كما قرن بعدهما اسمي المتنبي وسيف  
الدولة .

على اننا ، وان يكن النابغة رافق النعمان في جميع ما آتته ،  
ونادمه في اكثر مجالسه ، وان يكن النعمان اغدق عليه العطايا من  
مئات النوق « الأدم الفقل المراق المشدودة برجال الحيرة

الجدد (١) ، والجواري « الساحبات ذبول الریط » (٢) والمال الكثير حتى انه « كان يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب لا يستعمل غير ذلك » (٣) ، فلا نرى للشاعر في هذا الملك الجواد الا القليل من القصائد طول هذه المدة ، منها الدالية التي وصف فيها المتجردة (٤) والتي نخال بعض ابياتها منجولة .

### الدس على النابغة

كان النابغة شاعر النعمان الخاص ، ولم يكن لأحد حظ من الملك سواه (٥) حتى ان مركزه اوغر صدور منافسيه حسداً فاخذوا يعملون على الافساد بينه وبين الملك ، وكان اشدهم خبثاً واجراًهم على الدس عبد القيس بن خفاف التميمي ومرة بن سعد ابن قريع السعدي ، فنظما على لسان النابغة هجاءً سفيهاً في النعمان يذكران في بعضه جده لأمه ، وكان صائغاً بفدك (٦) . اما عبد القيس فلا نعلم سبب بغضه للشاعر ، واما مرة فقد ذكر الأغاني انه

(١) المنتخبات في الروائع ص ٨ ، البيت ٣١

(٢) المنتخبات في الروائع ص ٧ ، البيت ٢٩

(٣) الأغاني ٩ : ١٧٢

(٤) الديوان ص ٧٨ - وشعراء النصرانية ، ٦٤

(٥) الأغاني ٩ : ١٧٢

(٦) اطلب الأغاني ٩ : ١٦٥ - ١٦٦ ؛ وابن قتيبة : الشعر والشعراء ،



كان « له سيف قاطع يقال له « ذو الزيقة » من كثرة فرسه وجوهره فذكره النابغة للنعمان فأخذه . فاضطعن ذلك القريصي حتى وشى به » (١) . ولكن الظاهر ان هذه التجربة لم تنجح ، فأخذ الوشاة يتسقطون غيرها . الى ان كانت « مسألة المتجردة » ، وهي الرواية الثالثة التي يكتفي بها البعض سبباً لابعاد النابغة ، وملخصها ان النعمان كان قد تزوج بامرأة ابيه المتجردة ، وكانت من اجل نساء العرب في عصرها ، وهو من اشنع الرجال ، أبرش ، دميماً قبيح المنظر (٢) فكان شديد الغيرة عليها . وحدث ان النابغة رآها فجأة ، فسقط حجابها ، فاستترت بيدها (٣) فقال فيها قصيدة منها اشارة الى الحادثة :

سقط النصف ، ولم ترد اسقاطه فتناولته ، واتقتنا باليد وهي طويلة فيها وصف شهواني يتجاوز حدود الادب . فبلغت النعمان عن طريق مرة القريصي على قول بعض الرواة ؛ او عن طريق المنخل اليشكري الشاعر ، على قول غيرهم ، وكان هذا ينادم النعمان ، ولا يخـلو من ميل الى المتجردة ، فحسد النابغة

---

(١) الأغاني ٩ : ١٦٦

(٢) الأغاني ٩ : ١٦٦

(٣) الأغاني ٩ : ١٦٤

واغرى به الملك (١) ولكن يجرح هذه الرواية ما يذكره  
 الأغاني ، بعيد هذا القول ، من ان المنخل اليشكري قتله عمرو بن  
 هند ؛ (٢) ولا يخفى ان بين وفاة عمرو بن هند وارتقاء النعمان  
 عرش الحيرة نحو عشر سنين . على ان النابغة يشير في اعتذارياته  
 الى من دبر عليه هذه الوشايات من الاقارع عامة (٣) ، وخاصة  
 الى واشٍ معين ذي ذنب ، كان لا يزال يرتع في حمى النعمان  
 بعد ان اقصى النابغة البريء المظلوم فيقول :  
 لكافتني ذنب امرئ ، وتركته

كذي العر يكوي غيره ، وهو رافع (٤)  
 واذا اضفنا هذا الى ما نعرفه من المنافسة الشديدة بين المناذرة  
 والغساسنة ، والى ما كان يعرفه النعمان من مدائح النابغة لاعدائه  
 واعداء آبائه من قبله - وهو ظاهر ايضاً في الاعتذاريات ، كما  
 قدمنا - فهمنا حق النعمان المشروع في ان يغضب على شاعره  
 ويوعده وعيداً حمل حاجبه عصام بن شهر الجرمي وكان صديقاً

- 
- (١) ابن قتيبة : ك م من ٧٦ - ٧٧ ؛ والبغدادى : ك م ١٠ :  
 ٢٨٧ ؛ وابو زيد القرشي : ك م ص ٦١ - ٦٢ ؛ والاغاني ٩ : ١٦٦  
 (٢) الاغاني ٩ : ١٦٦  
 (٣) اطلب المنتخبات في الروائع ص ١٣ و ١٨ الابيات ٥٤ و ٧٨  
 (٤) المنتخبات ص ٢٠ البيت ٨٧ قلنا : ولعله المنخل !



للابغة ، على ان يندره (١) فهرب هذا تاركاً كل ما يملك . وبعد  
ان اقام مدة في قومه ، شخص الى ملوك غسان : وكان ذلك بعد  
السنة ٥٨٧ ، بدليل ان الملك الغساني الذي وفد عليه كان عمراً  
الرابع ، ابن الحرث السادس الاصفر ، وقد ملك بعد ابيه سنة ٥٨٧ ،  
فيكون الابغة اقام في بلاط النعمان سبع سنوات على الاقل .

### عند الغساسنة

كان اول اتصال الابغة بعمر و بن الحرث ، كما تقدم لا باخيه  
النعمان . فمدحه بقصائد عديدة فخمة منها البائية الشهيرة التي مطلعها  
كليني لهم يا أُميمة ، ناصبٍ و ليلٍ اقا سيه بطيء الكواكب  
واقام مدة في بني غسان ينتقل مع امرائهم في حواضرهم  
المهمة كجبلق والجولان ، فيحضر حفلاتهم الدينية منها والمدنية  
ويطلع على سياساتهم ، ويهتم بأخبار حروبهم ، ثم يصف كل ذلك  
في شعره مضيفاً اليه ذكر مفاخرهم القديمة مغتنماً الفرص ليشير الى  
انتصاراتهم على المناذرة اعدائهم ، كما تقدم في يوم حليلة المشهور (٢) :  
وبعد ان توفي عمرو ، نحو السنة ٥٩٧ ، اتصل الابغة بخليفته  
النعمان السادس ابي كرب و ابي حجر وكان هذا بطلاً مغواراً  
شديد الميل الى الغزوات ، لا يطيق ان يعيث أحد من قبائل البدو

---

(١) الاغانى ٩ : ١٦٥

(٢) اطلب المنتخبات ، القسم الثاني

في أرضه .

وكان بنو ذبيان واحلافهم من بني اسد وبني حن كثيراً ما  
يرعون فيها من المواشي . فيهمّ النعمان بمعاقتهم ، فيضطر النابغة  
الى التوسط والشفاعة . وقد كان موقفه في غاية الخطورة ، الا انه  
كان يتخلص بأسلوب حسن وسياسة ناجحة ، فكان تارة يمدح الملك  
ويستعطفه وطوراً يهدد قومه بأن « الليث منقبض على برائته » (١) وحيناً  
ينذر الملك نفسه بأن « لقاء بني حن كرية » (٢) حتى اذا انتصر  
الملك واسر من قوم الشاعر ، اتى دور الشفاعات . على أن النعمان  
لم يطل ملكه ، فقتل في احدى غزواته سنة ٦٠٠ ، فرثاه النابغة  
بقصيدة شهيرة نشرها في المنتخبات الاستاذ فؤاد افرام البستاني  
(ص ٢٨) ويظهر انه لم يحظ عند خليفته ، حجر الثاني . وكانه  
رأى أملاً برضى النعمان بن المنذر عنه ، وسواء كان ذلك بأن أرسل  
هذا يدعوه ويؤمنه كما تقول بعض الروايات (٣) ؛ او ان يكون  
النابغة عرف بمرض ملك الحيرة ، وكان يحبه ، فأسرع اليه مشفقاً ، (٤)  
او ان يكون تاق الى مواهبه الجزيلة فرغب في عطاياه وعصافيره ،

---

(١) الديوان ص ٨٤ ؛ وشعراء النصرانية ص ٦٧٨

(٢) الديوان ص ٨٨ ؛ وشعراء النصرانية ص ٦٨٢

(٣) ابن قتيبة : ك.م. ٧٧

(٤) الأغاني ٩ : ١٧٢



لأنه لم يكن ليخافه ولم تكن عشيرته لتسلمه، كما يقول أبو عبيدة (١)  
 فتترك الغسانيين في تلك السنة نفسها واتجه نحو الحيرة، مع صديقين  
 من بني فزارة كانا من ندماء النعمان وهما منظور بن زبان وسيار  
 بن عمرو، على الأشهر (٢)

### الرجوع الى النعمان بن المنذر

ولم يجرؤ النابغة ان يدخل رأساً على النعمان، لأنه لم يكن  
 أمن وعيده بعد و « لا قرار على زارٍ من الاسدِ » (٣) وهو لا  
 يريد أن يأتيه مجرمًا (٤) فاخذ يبرؤ نفسه، ويعتذر اليه بتلك  
 الاعتذاريات الرائعة التي صدر بها المنتخبات البستاني، وكان بين  
 الفزاريين والنعمان دُخْلُلٌ، كما يقول ابن قتيبة (٥) أي حب  
 وخاصة، فضرب لهما قبة من آدم، وهو لا يشعر ان النابغة معها،  
 وكان يرسل اليهما بطيب والطفاف مع احدي قيانته، فكانا يأمرانها ان  
 تبدأ بالنابغة قبلهما، فذكرت ذلك للنعمان (٦). ثم ان النابغة

---

(١) الأغاني ٩ : الموضع نفسه

(٢) ابن قتيبة : ك.م. ص ٧٠

(٣) المنتخبات ص ١٠ البيت ٤٢

(٤) الديوان ص ٨٢ ، ٧ : ١١

(٥) ابن قتيبة : ك.م. ص ٧٧ - ٧٨

(٦) الأغاني ٩ : ١٧٢

علمها ابياتاً من داليتة « يادار مية » تنشدها مولاها على شراب ،  
 فلما انشدته ، وقد اخذت الخمر منه ، طرب وصاح : « هذا شعر  
 علوي ! هذا شعر النابغة ! » ثم كلمه فيه الفزاريان ، فأمنه ، وادناه  
 اليه ، واستنشده ، ووصله . وكان حسان بن ثابت ، بعد ان  
 صادف النابغة في بلاط الغسانيين وعرف انه ترك الحيرة هارباً ،  
 اتى النعمان ، مغتماً تلك الفرصة ، فاصبح من شعرائه المقربين .  
 الا ان الحاجب ، عصام بن شهير ، صديق النابغة ، كان قد نبهه الى  
 انه « اذا قدم عليه النابغة فليس لأحد منه حظ سواه » (١) فلما  
 رأى حسان رضى النعمان عن النابغة ، شعر بانتهاء حظوته ، فحسد  
 الشاعر على ثلاث ، كما يقول (٢) لا يدري على ايتهن كان له  
 اشد حسداً : على ان ادناه النعمان له بعد المباحدة ومسامرتة له واصغائه  
 اليه ، ام على جودة شعره ، ام على مائة بعير من عصافيره امر  
 له بها ؟ » .

كان من الحق ان يتبرّر النابغة في شيخوخته فتمحى عنه تلك  
 الوصمة التي ألحقها به الوشاة ، فقضت مضجعه ، واقلقت ليلاليه حتى  
 ظهرت آثار التأثر بها في جميع اعتذارياته . واكن الحظ لم يشأ ان  
 تطول اقامته في الحيرة هذه المرة . فان كسرى لم يلبث ان نقم

(١) الأغاني ٩ : ١٧٢

(٢) الأغاني : الموضع نفسه



على عميله النعمان ، وسير جيشاً في طلبه . فهرب هذا من عاصمته ،  
وتبدد شمل رجاله . ولم يطل الوقت حتى القى الفرس القبض على  
النعمان ، فاقتيد الى المدائن حيث قتل تحت أرجل الفيلة ، حسب  
الرواية المشهورة ، نحو السنة ٦٠٢ .

### وفاته

اما النابغة فانه لحق بقومه ، ولا نعلم عنه شيئاً يذكر بعد ذلك  
الا انه عاش حتى بعد موت النعمان بدليل ما ذكر صاحب الأغاني  
من انه لما نعي اليه النعمان وحدث بما صنع به كسرى قال :  
« طلبه من الدهر طالب الملوك ! » ثم تمثل ببعض أبيات (١)  
وذكر غير واحد من الرواة انه اسن جداً وترك قول الشعر (٢)  
واستنتج ديرنبورغ من جملة وردت في الاغاني (٣) ، ان شاعرنا  
خرف في آخر ايامه ، وهام في بلاد اليمن حتى مات .

### صفاته واخلاقه - دينه

يستنتج من اقوال الرواة المتفرقة ان النابغة كان حسن الهيئة ،  
مهيب المنظر ، يتوك له ضفيوتين (٤) تتدليان على كتفيه . وكان

---

(١) الاغاني ٢ : ٣٩

(٢) ابو زيد القرشي : الجمهرة ص ٦٣

(٣) الاغاني ٢ : ٩١

(٤) الاغاني ١٤ : ٢

ذا عفة وشرف وانفة طالما حسد عليها ، حتى انه كان يترفع عن  
 مدح السوق (١) ، ولكنه لم يكن ليتراجع عن تأديب هؤلاء  
 السوق والنيل منهم ، اذا ما تجموا عليه وهجوه . اما معيشته  
 فكانت على جانب من الترف والبذخ ، كما تقدم في ذكر عطايا  
 النعمان له . وكان الى ذلك ، ، رزيناً ذا بصر بالامور ، جمع  
 الاختبار والحكمة الى دقة الملاحظة والحكمة ، فنال مركزاً  
 سامياً في قلوب قومه ، ودالة عظيمة على بمدوحه من الغسانيين  
 واللمخمين . وقد رأينا البراهين العديدة على ذلك في تدخلاته  
 بشؤون الصلح والحرب وما اليهما من المحالفات والاتفاقات ، وفي  
 توسطه بحاجات قبيلته لدى الملوك ، فكان حقاً رجلاً ادارة  
 يستخدم موهبته الشعرية في سبيل غايته السياسية . الا ان السياسة  
 مشؤومة الطالع كثيراً ما تشوه المقاصد النبيلة . وتفسد النيات  
 الصافية . وعليه فلا نعجب ان سمعنا البعض من قوم النابغة  
 يتذمرون عليه ، اذ ينصح لهم بتجنب محاربة الغسانيين ، فينسبونهم  
 الى الممالة والمحابة ويعيرونه خوفه النعمان بن الحرث (٢) ، حتى  
 اذا كسروا وخسروا الانعام والاسرى ، لجأوا اليه في سبيل  
 الشفاعة . وكان هو يذكر هذا الاجحاف بحقه ويشكو حتى من

(١) الديوان ص ٩٧ ، القصيدة ٢٧ : ١٦

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٧٨



اقرب الناس اليه .

وكما كان يلجأ الناس اليه في مشاكلهم الاجتماعية والسياسية ، كانوا يحكمونه في مشاكلهم الادبية كذلك . والرواة مجمعون على انه كان يرأس محفل عكاظ ، لما خص به من حسن الذوق ودقة النظر وصواب الحكم ، فتضرب له قبة من آدم (١) وينشده الشعراء ، فيفاضل بينهم ويحكم ، فينزلون جميعاً عند حكمه في الغائب ، الا بعض من لم يكن يروقه الحكم بالطبع ، كحسان بن ثابت مثلاً الذي رأيناه يحتل مكان النابغة في الحيرة ، ثم يحسده بعد رضى النعمان عنه . ولكن النابغة لم يكن ليسكت عنه مثل هذا الاحتجاج (٢) .

اما دين شاعرنا فمن المرجح انه كان النصرانية لكثرة ما نراه في شعره من الشواهد الدالة لا على توحيده فحسب ، كما ذكر ديرنبورغ واكتفى به ، بل على نصرانيته ايضاً ، كما ذكر « تاج العروس » (٣) فقال في شرح البيت :

(١) Derenbourg. cit. p 67 الروائع : النابغة الذبياني : ٣٠

(٢) ابن قتيبة : ك.م ١٩٧ ، وكل كتب الادب

(٣) راجع ما قاله فؤاد افرام البستاني عن مسألة الخنساء وحسان لدى النابغة

في سوق عكاظ . في الروائع ٢٨ : يه — يو ، كسب — كج

ظلت اقاطيع انعام مؤتملة

لدى صليب على الزوراء منصوب (١)

« ... وقيل : سمى النابغة العلم صليباً لانه كان نصرانياً » (٢)

## آثاره

### الديوان

كان اول من جمع شعر النابغة ابو سعيد عبد الملك قريب المعروف بالاصمعي ، فاختر له ٢٤ قصيدة ، زاد عليها الطوسي « منتصف القرن التاسع » بضع قصائد . وكلها موجودة في مجموعة دواوين الشعراء الستة الجاهليين التي نشرها المستشرق وايم بن الورد في غريفزولد - لندن سنة ١٨٧٠ ، والحق بشعر النابغة فيها كل ما وقف عليه في كتب الأدب ، وهو نحو ٦٠ قطعة منها ما لا يتجاوز البيت الواحد ، واكثرها بين النحل ، لا سيما ذاك الثناء المسجّع في مدح عمرو بن الحرث (٣) . وفي سنة ١٨٦٨ اخذ المستشرق ديرنبورغ يته بنسخ الديوان المشروحة ، فنشره اولاً

---

(١) الديوان ص ٧٩ : القصيدة ٤ : ١٠

(٢) تاج العروس : ١ : ٣٣٧

(٣) طبعة ابن الورد ص ١٧٧ ؛ وشعراء النصرانية ص ٧٣١



في المجلة الاسبوعية الفرنسية ، ثم على حدة مع شرح الا علم الشنتمري  
وترجمة كاملة الى الفرنسية ، بعد أن قدّم عليه مقدمة واسعة في  
حياة الشاعر وصفاته . والحق به القصيدة التي لم تذكر في الديوان ،  
ولكن اوردها ابو زيد القرشي في « جهرته » وجعلها الثالثة بين  
المعلقات ، ومطلعها :

عوجوا فحيوا النعم دمنة الدار      ماذا تحيون من نؤي واحجار (٢)  
اما التبريزي فانه يجعل بين المعلقات العشر القصيدة الدالية في  
الاعتذار .

ومن شرحوا ديوان النابغة الوزير ابو بكر البطليني . وقد  
نشر المرحوم الاب شيخو ، في مجموعته الكبيرة « شعراء النصرانية »  
سنة ١٨٩٠ ، اخبار النابغة مع ديوانه وشروحه وكل ما اضيف اليه  
وكان امين عمر زيتون قد نشر في القاهرة سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦)  
الديوان المذكور وعليه شرح مختصر عن شرح البطليني ، مع  
اربعة دواوين لعروة بن الورد ، والفرزدق ، وحاتم الطائي ، وعلامة  
الفضل بعنوان « خمسة دواوين العرب » . وهي المجموعة التي نشرتها  
قبل الحرب « المكتبة الاهلية في بيروت » ، ثم اعادت طبع ديوان  
النابغة منها على حدة سنة ١٩٢٩ ، بعد ان وقف عليه الشيخ

---

(١) ابو زيد القرشي : جهرة اشعار العرب ، ص ١١٤

عبد الرحمن سلام . وقال استاذنا البستاني في ( الروائع ) :  
( اما من حيث صحة النسبة فنقول في الديوان ما قلناه في اكثر  
الشعر الجاهلي من اننا لا نطمع في سلامته كله من التحريف او  
الدس او النحل فحيثما رأينا ضعفاً أشرنا اليه . وحيثما رأينا الصحة  
راجحة ارتحنا اليها . حتى انه يمكننا الاطمئنان ، والحالة هذه ، الى  
اكثر ما ورد عن الاصمعي ، وهو ما اجتهدنا في تمثيله في المنتخبات  
مستندين الى طبقات ديرنبورغ وابن الورد وشيخو ، والى شروح  
الشنتمري والبطلينيوسي ) .



## الوصف في شعره

### نصوص مختارة

#### وصف الاطلال :

قال النابغة يصف الاطلال في مطلع معلقته :

يا دار ميةً بالعلياءِ فالسندِ

أقوتُ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ (١)

وقفت فيها أصيلاً لا أسائلاً

عيت جواباً ، وما بالربّعِ من أحدِ (٢)

(١) مية : اسم محبوبته العليا : مكان مرتفع من الارض . السند : ما قابلك من الوادي . أقوت : أقفزت من اهلها . سالف الأمد : ماضي الدهر .

(٢) اصيلاً : الاصيل الوقت قبيل المغرب ، واصيلاً البذل ، اذ تصغيره على اصيلاً ، فابدل بالنون اللام ، واصيلاً اصلها أصلان الذي هو جمع اصيل كـ رغيف ورغفان ، وخطئوا من قال بهذا ؛ لأن الجمع لا يصغر الا اذا كانت من جموع القلة ، وهي :

أفعلة أفعل ثم فعلة      ثمت أفعال جموع قلة

وقالوا بل هو مصدر مثل التكلان والغفران . عيب : عجزت .

إلا أوارى لأيا ما أبيئنها

والنوى كالحوض بالظلومة الجلد (١)

ردت عليه أقاصيه ولبده

ضرب الوليدة بالمسحاة في التأد (٢)

خلت سبيل أتى كان يحبسه

ورفعته الى السجقين فالنضد (٣)

اضحت خلاء ، واضحى اهلها احتملوا

اخنى عليها الذي اخنى على لبد (٤)

---

(١) الأواري : مفردها آرى . وهو معلف الدابة ومحبسها . لأيا : جهداً ومشقة . أبيئنها : استبينها . النوى : الحاجز من التراب يجعل حول البيت والخيمة ليمنع وصول السيل . الظلم : وضع الشيء في غير محله ، والمظلومة : الارض التي قد حفر فيها في غير موضع الحفر . الجلد : الارض الغليظة الصلبة من غير حجارة .

(٢) أقاصيه : جمع اقصى ، وهو ما بعده وضده أدنى لبد : الصق التراب بعضه ببعض . الوليدة : الخادم الشابة . التأد : المكان الندى التراب .

(٣) خلت : تركت . الاتي : السبيل يأتي من بلد الى بلد . يحبسه : يمنعه . السجقين : متنى سيجق ، وهو الستر يكون في مقدم البيت . النضد : ما نضد ونسق من متاع البيت .

(٤) أمست : يريد صارت . خالية : خالية من السكان . احتملوا : ارتحلوا . اخنى عليها : غيرها وافسد آياتها . لبد : آخر نسور لقمان بن عاده



## وصف الثور الوحشي :

وقال يصف الثور الوحشي :

كأن رَحلي وقد زال النهارُ بنا

يوم الجليل على مستأنسٍ وَجدِ (١)

من وحشٍ وجرةٍ موشٍ أَكارعُهُ

طاوي المصير كسيف الصَّيقل الفرد (٢)

سَرَت عليه من الجوزاء سارية

تزجى الشمال عليه جامد البَرَدِ (٣)

فارتاعَ من صوتِ كلابِ فباتَ له

طوع الشوامِت من جوفٍ ومن صَرَدِ (٤)

---

وهو غير لقمان الحكيم الوارد في القرآن الكريم . سماه لبدأ لأنه ظن انه ابد  
فلا يموت ، ولا يذهب ، وزعموا انه حين كبر ، قال له : انهض لبدفانت نسرا لابد .  
(١) الرجل : ما يوضع على ظهر البعير ، فيشبه السرج للفرج . زال  
النهار ؟ حل وقت الزوال ، وهو الوقت الذي تتوسط الشمس فيه السماء .  
يوم الجليل : بذلك المكان الذي يثبت الجليل وهو الشام . المستأنس : الذي  
ينظر بعينه كأنه يطلب الأُنيس . وحَد : منفرد .

(٢) وجرة : فلاة بين مكة والبصرة ، وهي قليلة الماء لذلك لا يسكنها  
أحد . موشى : منقط . اكارعه : قوائمه ، مفردا كراع ، كغراب .  
طاوي المصير : ضامن المصير . الفرد الفريد الذي لا نظير له (٣) سرت

فبتهن عليه واستمر به

صمغ الكعوب بريات من الحرد (١)

وكان « ضمران » منه حيث يوزعه

طعن المعارك عند الحجر النجد (٢)

شك الفريضة بالمدرى فانفذها

شك المبيطر إذ يشفى من العضد (٣)

السارية : سارت السحابة ليلا . الجوزاء : نجم يظهر صيفاً . تزجي : توق  
برفق . الشمال : الريح تهب من جهة الشمال . جامد البرد : الماء المجمد  
قطعاً صغيراً لشدة البرد . ( ٤ ) فارتاع : ففزع . كلاب : صاحب كلاب .  
طوع الشوامت : مطيع القوائم . الشوامت جمع شامة . الصرد : البرد الشديد  
( ١ ) فبتهن : ففرقهن . صمغ الكعوب : ضوامر ، ومفرد صمغ أصمغ  
وهو وصف للقوائم الملمس . بريات من الحرد ؟ برييات من الحرد ، وهو ترهل  
في المفاصل .

( ٢ ) ضمران : اسم كلب . يوزعه : يضربه ويخفه . الحجر : الملجأ .  
النجد : الشجاع من النجدة ، او الذي يعرق من الكرب والشدة ، والأول  
هو الراد .

( ٣ ) شك الفريضة : طعنها وانفذ فيها قرنه . والغريضة : قطعة لحم من  
مرجع الكتف الى الخاصرة . المدرى : القرن . المبيطر : البيطار . العضد :  
بالفتح داء يصيب العضد .



كأنه خارجاً من جنب صفحته

سَفودُ شربِ نسوه عند مُفتَادٍ (١)

فضل يعجم أعلى الروق منقبضاً

في حالك اللونِ صدقٍ غير ذي اودِ (٢)

لما رأى « واشق » اقعـاص صاحبه

ولا سبيل الى عقل ولا مودِ (٣)

قالت له النفسُ : اني لا ارى طمعاً

وان مولاك لم يَسلمْ ولم يصدِ (٤)

---

(١) كأنه : الضمير يعود على القرن . صفحته . ، جانبه . سفود شرب ، السفود حديده يشوي عليها اللحم ، والشرب جماعة الشاربين . نسوه ، تركوه ومنه قوله تعالى ، « نسوا الله فَنسيهم » أي تركوه فتركهم . المفتَاد ، موضع النار التي فيها الشواء .

(٢) فضل : فاستمر اليوم كله وليس مراداً وإنما المراد فاستمر . يعجم : يعضم . الروق : القرن . منقبضاً : منطوياً . متجعماً . الصدق : بالفتح الصلب . الاود ، الاعوجاج .

(٣) واشق . اسم كلب آخر ، وسمي بذلك لانه يشق اللحم . اقعـاص من صاحبه . الاقعاص القتل السريع الذي نزل بصاحبه صخران . لاسبيل . لا طريق ولا رجاء . الى عقل . الى دية ، ولا وقود ، ولا قصاص .

(٤) قالت له النفس . ناجته نفسه وحدثته . وله الضمير يعود على واشق . الطمع . الرجاء والامل . مولاك . سيدك . لم يسلم . لم يسلم من الخسارة

وقال يصف الليل

كَلَيْفِي لَهُمْ يَا أُمِيْمَةُ نَاصِبِ

وليلِ أَقَاسِيهِ بِطِيءِ الْكَوَاكِبِ (١)

تَطَاوَلَ حَتَّى قَلْتُ : لَيْسَ بِمَنْقُضٍ

وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَثْبِ (٢)

وَصَدْرٍ أَرَّاحَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمٍّ

تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٣)

(١) كَلَيْفِي ، اتركيني ودعيني . أُمِيْمَةُ ، إبنته ، يصح فيها الافتح والضم ، والضم احسن ، والفتح أشهر . قال الخليل بن احمد : من عادة العرب أن ترخم عندما تنادي المؤنث فلما لم يرخم « بسبب الوزن » أجرى الترخيم على لفظها ، فأتى بالفتح . ناصب : متعب منصب ، كقوله تعالى ، « في عيشة راضية » أي عيشة مرضية ، أولهم ذي نصب ، أقاسيه ، أكابده . بطيء الكواكب : كناية عن صفة هي الطول والامتداد .

(٢) تَطَاوَلَ : امتد وطال . لَيْسَ بِمَنْقُضٍ : ليس بمنته . يَرَعَى النُّجُومَ : قيل أراد النجم الذي يتقدم النجوم ، فهو منها بمنزلة الراعي لها . بِأَثْبِ ، براجع .

(٣) وَصَدْرٍ : ورب صدر ، يقصد صدر نفسه . أَرَّاحَ : أعاد . ورد من راحت الابل الى مناخها عشياً اذا ارتدت . العازب : النائي البعيد . تَضَاعَفَ : تكاثر . من كل جنب : من جميع النواحي .



## وصف الفرات :

ثم وصف الفرات فقال :

فما الفرات اذا هبَّ الرِّيحُ له ترمي اواذيه العبرين بالزَّبَدِ (١)  
يُمده كلُّ وادٍ مترعٍ لُجْبٍ فيه ركامٌ من الينبوتِ والحُضدِ (٢)  
يظلُّ من خوفه الملاحُ معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجدِ (٣)  
يوماً بأجودَ منه سَيْبَ نافلةٍ  
ولا يحولُ عطاءُ اليومِ دون غدِ (٤)

## وصف الحية :

وقال في وصف الحية :

- (١) الأواذي : الأمواج والمفرد آذى . العبران : الشاطئان . الزبد : رغاوي الماء .  
(٢) يُمده : يزيد في مائه . المترع : الممتلئ . اللجب : ذي الصوت .  
الركام : الحطام المتكاثف المتراكم . الينبوت : شجر الحشخاش واحده ينبوته .  
الحُضد : ما خضد وتكسر .  
(٣) يظل : يستمر طول يومه . الملاح : صاحب السفينة . معتصماً : ممتنعاً  
الخيزرانة : السكان ، وهو دفة السفينة ويروى الحيسفوجة ، وهو الشراع .  
الآين : التعب والأعياء . النجد : العرق والكرب .  
(٤) بأجود منه : بأكثر منه عطاء . السبب : العطاء . النافلة : الزيادة .  
لا يحول : لا يمنع .

صَلُّ صَفّاً لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ  
طَوِيلَةَ الْأَطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ خَفَرٍ (١)

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ  
كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْرُ (٢)

مَهْرُوتُهُ الشَّدَقِينَ حَوْلَاءُ النَّظَرِ  
تَفْتَرُ عَنْ عُوجِ جَدَادٍ كَالْأَبَرِ (٣)

### وصف أثر سم الحية وخبثها :

ثم قال في وصف أثر سم الحية وخبثها :

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةً  
مِنَ الرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُ نَاقِعٌ (٤)

- 
- (١) الصل : الحية الخبيثة جداً . الصفاء : الحجر الصلد مفردة صفاة .  
الاطراق : ارخاء العينين الى الأرض . الخفر : الحياء .  
(٢) داهية : مصيبة . ذهبت بها الفكر ، كناية عن صفة هي السقم .  
(٣) مهروته الشدقين : واسعة الشدقين . تفتت : تكشف . جداد : الجداد  
بالفتح والكسر : صرام النخل .  
(٤) ساورتني : واثبتني ، او وثبت علي . ضييلة : رقيقة الجسم . الرقش :  
جمع رقشاء ، وهي الحية فيها نقط سود وبيض . الناقع ، البالغ القاتل .



يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّامِ سَلِيمُهَا

حُلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ (١)

تَنَادِرُهَا الرَّاqُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا

تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ

---

(١) يسهد : يمنع من النوم . ليل التام : اطول ليالي الشتاء ، والتام مثلث التاء والفتح اكثرها . السليم ، المسوع ، وسمي كذلك تفاؤلا بسلامته . القعاقم : الأصوات مفردا قعقة .

## تحليل النصوص

وصف شاعرنا الاطلال وناجى الديار ، وود لو تشاطره  
المناجاة ، تلك الديار الواقعة بين العلياء فالسند ، وقد افقرت من  
اهلها ، وطال اقفارها ، وبعد العهد بسكانها ، فقال : لقد وقفت  
في رسوم هذه الأطلال ساعة الاصيل ، وقد تراحمت في نفسي  
الذكريات ، وتجاوبت العواطف والافكار ، وقفت اسائلها  
عن الاحباب الذين كانوا يقطنونها ، والاصدقاء الذين تساقينا  
وإياهم كؤوس الهوى ، فلم تخر جواباً فعَجِزَت عن التعبير ،  
وكيف تعبر وقد خلت من الانيس ؟

لم يبق في رسوم هذه الديار لا محابس الدواب ومعالف  
الحيوان ، وحتى هذه لا يكاد الرائي يتبينها والا النوى الذي كانوا  
يقيمونه مانعاً للسيل ، فهو كالحوض في الارض الصلبة الصماء ،  
لبد ترابه ، حتى يستقر بعضه على بعض .

خلت الخادم السبيل للسيل المنهمر ، والأتي المنسكب الذي  
كان ذلك النوى يحبسُه عن الدار ، وبلغ سجفا البيت ، بل  
تجاوزهما الى متاعه المنضد ، واساسه المنسق ، فليس ما يدعو الى



حجز الماء عنها ، فقد اضحت خالية من قاطنيتها الذين احتملوا عنها ورحلوا منها ؛ فغيرها ، وأذهب آياتها ، القادر على تغيير كل شيء وإزالة كل شيء . « اخنى عليها الذي اخنى على لبد » .

وقال في وصفه للثور الوحشي : كأنني اذ أضع رحلي ساعة الزوال ، فوق ظهر ثور وحشي غير محدود النشاط ، في ذلك المكان الموحش الذي لا انيس لي فيه يزيل وحشتي ، ويؤنس وحدتي . انه من وحش وجرة القليلة الماء ، المعدومة الغذاء ، وهو ضامر كالسيف المصقول ، ليس له في صقله نظير ، وهو الى توجهه وخوفه . وظمئه وجوعه قد أسرت اليه في ليلة خريرة النجم مزنة شمالية لا تمل البكاء ، ولا تترك النحيب ، فهي تحمل اليه البرد والبرد ، وتسرق له معها الخوف والحذر والجوع والظما .

انه مضطرب الحس ، هلع النفس ، قد ضاعف ما هو فيه انه سمع صوت صياد جاء يغزوه في عقر داره ، ويطارده في فلاته بقوانصه ، ولكنه قدر ان الله منحه اكارع ملساء ، وقوائم جرداء قد برئت من العيب ، وسلمت من الحرد ، فهي كفيلة بان تدفع عنه هذه الكلاب المطاردة .

اقبل عليه زعيمها كما أراد منه سيده ، فاذا انصباب واندفاع

وقفز ووثب ، ومداورة ومرأودة ، ومخادعة ومخاتلة ، ثم معركة  
حامية الوطيس طعن فيها الثور ضمران في شجاعة ونجد طعنه  
أنفذ بها قرنه في بطنه ، فكان كأنه بيطار يشق عن داء ليغسله  
بالدواء ، وظهر القرن من الجانب الآخر مضرجاً بدم الكلب ،  
كأنه سفود تركه فوق النار جماعة الشاربين ، فاحمر واشتعل ،  
فصار كأنه عمود من النار ، وأخذ الكلب في ثورة ويأس بعض  
أعلى القرن الحالك الاسود ، القوي الصلد ، المستقيم الممتد ، وهو  
مقبض الجسم ، مكفهز الوجه ، بما بشعر به من آلام الجراح  
والاوجاع .

وحين رأى واشق ما حل بأخيه من هزيمة وبوار ، واندحار  
وانكسار ، دون ان يحكم له احد بدية يودى بها ، او قصاص  
يقتص به من عدوه الفاتك ، حدثته نفسه ، وقد استولى عليها  
الفرع ، ونزل بها الجزع انه لا يرى في ذلك الثور مطمعاً ، ولا  
يرجو من وراء منازلته مغنماً ، فعليه ان يرضى من الغنيمة  
بالاياب ، فها هو ذا سيده يعود وقد خسر خسارة فادحة ، دون  
ان يكسب شيئاً ، فما اشقى جده ! وما اتعس يومه !

وقال يصف الليل مخاطباً ابنته : دعيني يا بنيتي لهومي  
واوصابي ، دعيني لهم ناصب ، واتركيني لليل قد طال ، حتى أمل ،



وامتد الى ان اثقل واسأم ، فكوا كبه بطيئة المسير ، ونجومه  
كأنها لا تحول .

لقد استطال ذلك الليل لما نزل بي من الهموم والأوجاع ،  
حتى حسبت انه لن ينتهي ، وظننت انه مقيم لا يريد أن ينقضي ،  
وان الراعي الذي يرعى النجوم ويهدها سواء السبيل ، ويسوقها  
الى غايتها من الأفق البعيد ، قد ذهب الى غير أوبة ، وتركها  
دون ان ترجى له رجعة ، وإذن فستبقى تلك النجوم حيرى لا  
تعرف لها قراراً .

دعيني يا اميتي لصدور قد اثقلته الهموم ، ورد له الليل ما  
استطار منها في النهار ، فتضاعف حزنه ، وتكاثف شجنه .  
وصف الفرات فقال : هبت على الفرات الرياح العواصف ،  
فثارت امواجه ، وتراعى آذيه على شاطئه بالزبد ، تمدد الوديان  
المتربة ، اللجة بالماء الغزير ، يتناثر فيه الخطام ، ويتجمع من  
الينبوت والحضد الركام ، فيخشاه الملاح ، ويخافه النوتي ، فيتقيه  
بسكان سفينه ، ويعتصم منه بدفة مركبه بعد أن بلغ منه الأين  
والاعياء كل مبلغ ، ونال منه الكرب والشدة كل منال ، إن  
الفرات وتلك حاله ، وهذا وصفه عندما يفيض فيروي ، ويطمو  
فيغني ، انه وهو على هذه الحال ليس بأجود منك يدا ، ولا بأكثر  
منك مدا ، اذ الفرات لا يفيض في كل آن ، وفيضك لا يجد زمان .

ثم وصف الحية فقال : وحيدة خبيثة عاتية تتخذ من الصخر الصلد لوزاً لها ، حتى لا يتبينها الراي ، ولا تلتوي على نفسها ؛ لقصر جسمها ، تطيل الأطراف ، وتمعن في التهويم دون أن يكون اطرافها لحياء او طأطأة رأسها لحجل ، وانما هو لاهتيال الفرصة ، والاستعداد للعدة .

وهي داهية دهياء ، ومصيبة نكراء قد طال أجلها ، فعظم خبثها ، وإن صغر جسمها ، حتى لكان كثرة الفكر هي سبب سقمها ، وأصل ضآلتها ، ولم لا ؟ اليست تفكر في العدوان ، وتنطوي على الغدر والخيانة ؟

وهي واسعة الشدين حولاء العينين ، تفتح شديقها الاهرتين عن اسنان عوج حداد كأنها الابر .

وكذلك وصف سم الحية وخبثها فقال : يسهر الليل الطويل ، ليل التمام ملدوغها ، لا يتقابل جفناه ، ولا تعرف طريق النوم عيناه ، قد جعل الحلى والحلاخل في يديه ، دائمة الجرس ، مستمرة الصوت ؛ حتى لا ينام لديغها ، فيسري السم في اجزاء جسمه ، ويدب الموت في مفاصله .

يخاف الرقاة منها ، ويناذرون عقباها ، اذ ليست لهم بمطواعة دائماً ، فحينما تجيبهم ، وحينما تعصهم ، وطوراً تطلق الراقي ، فليس له بها شأن ، وطوراً تراجعهم ، فتدعن لامره .



## نقد النصوص

وصف النابغة الاطلال فاسف في هذا الوصف حتى جاءت هذه  
الابيات دون مستوى شعره ، ومرد هذا الاسفاف ان  
النابغة اراد ان يوجز فدفعه هذا الايجاز الى ان يحمل شعره معاني  
اكثر مما يحتمل ، نادى شاعرنا الدار ولم يذكر سبب النداء ، انه  
يريد ان يتحدث اليها عن حبيبته ، اين ذهبت بها الايام ؟ وكيف  
كان حالها عند احتمالها ؟ الى آخر هذه المعاني التي ترد بخاطر من  
يريد الى الدار خطابا ، وكأني بالنابغة ناقض نفسه ، فقد نادى  
الدار ، وراح يسألها فعيت بالجواب ، وما بالربع من احد ،  
فهو يعلم هذا قبل سؤالها اذ يقول :

« اقوت وطال عليها سالف الامل » واذن فما كان ينتظر  
الجواب من السكان بل من الدار والابيات الثلاثة الاخيرة ليس  
فيها جمال الا ذلك الذي يدل على شرفه وسرائه فالوليدة تضرب  
بالمسحاة في التأد ، ورفعته الى السجفين ، وليس كل الناس لديارهم  
سجوف ، والشطر الاخير جماله انه جرى مجرى المثل .  
وكأني بالنابغة الوصف الكامل قد عمد في وصف الثور

الوحشي الى وصف قصة تخيلها ، وقص منظر تصويره ، وقد عني  
أن يصف الثور الوحشي في معركة حامية ، وأن يقص علينا قصة  
حربية ، وهو يجيد القصص ويحسن التصوير .

وقد اتاح له الاجادة في هذين النوعين خياله الواسع ، وشرفه  
الرفيع ، اذ هيأت له حياته المتحضرة ، ورحلاته المتعددة ، ومنادمته  
الملوك ، ومصاحبته الاقيال أن يتسع خياله ويجود تصويره .

اختار شاعرنا لهذه المعركة أسلحتها ، وأعد لها عتادها : الثور  
الوحشي ، والكلاب المبهوثة ، والشك والفرائص ، والمـدري  
والروق ، والمبيطر والعضد ، والسفود والمقتاد ، ثم رأى أن الصلح  
الشريف غير مستطاع فلا دية ولا قود ؛ فأبي الفاضل ميدان تنقص  
وصف ذلك الميدان ؟ وأي صورة للمعارك أدنى من تلك الصورة  
التي أعد لها الوانها ، وهياً لها ميدانها ؛ اذ يقول :

وكان « ضمran » منه حيث يوزعه

طعن الممارك عند الحجر النجد

شكّ الفريضة بالمدرى فأنفذها      شكّ المبيطر إذ يشقى من القصد  
كأنه خارجاً من جنب صفحته      سفود شرب نسوه عند مقتاد  
فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً      في حالك اللون صدق غير ذي أود  
لقد كانت معركة النابغة معركة اليمّة أسال فيها الدماء ، وكانى



به كان من تجار الحرب - كما يقال في الاساليب الحديثة - فعاش حياته داعياً اليها ، محرراً عليها ، حتى بين انواع الحيوان . تلك معاني النابغة تدل على بيئة حربية ، دلالتها على الحال الحضري ، فليس جميع العرب يعرفون : « سفود شرب نسوه عند مقتاد » وانما هذا خيال من ينادم الملوك والأمراء . أما أسلوبه فمستقيم لا أمت فيه ولا عوج ، ولا تركيب ولا تعقيد ، وانما هو يسير على نمط عال من القول ، وقوة محكمة من الرصف . وأما الألفاظ فان النابغة السهل العذب يجزل ويصلب عندما يتناول معاني الحياة الجزلة الصلبة كالناقة والصحاري ، والاوابد والفيافي ، وكأني به يريد محاكاة تامة للطبيعة ، وهذه احدي نواحي قدرته وجلاله .

ثم وصف النابغة الليل فجاء وصفه هذا اروع ما نظمه في وصف الليل شاعر ، وهو فيها مقلد لامرئ القيس ، وان اختلف القدماء في تفضيل ايها على الآخر ، فبالغ امرؤ القيس على غير عهد الادب به ، فسوى بين النهار والليل في الهم ، فقال انصاره : ان المبالغة هنا اجدى وافضل ، وقصد النابغة على غير عهد الادب به ايضاً في قوله :

وصدر أراح الليل عازب همسه

تضاعف فيه الحزن من كل جانب

واقتردي به الشعراء ايماناً بجمال معناه ، فقال احدهم :

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى

ويجمعني والهم بالليل جامع

وقال انصاره في سبب تفضيله : وانه جعل صدره مرآحاً  
للهموم ، وجعل الهموم كالنعم السارحة تسرح نهراً ، ثم تأتي الى  
مكانها ليلاً ، وهو اول من استشار هذا المعنى ، ووصف ان  
الهموم مترادفة بالليل لتقيّد الحاظ عما هي مطلقة فيه  
بالنهار ، واشتغالها بتقيّد اللحظ عن استعمال الفكر »

ومناجاته فتانة من آيات جماله ، فالبنت أشد شعوراً بمصاب  
أبيها ، وأرفر عاطفة نحوه ، يشجىها شجوه ، ويحزنها همه ، فهي  
منه قلبه و كبده .

ولننتقل الى وصف الفرات عند شاعرنا ، هذا الوصف الذي  
جاء عرضاً حين اراد النابغة أن يصف النعمان بالكرم والسخاء ،  
فصور فيضان الفرات حينما تهب عليه الريح ، وتتلاطم الأمواج ،  
ويضطرب الآذي ، وصور مده ، وما يحمله معه من حطام وركام  
كل ذلك في اسلوب قوي قوة الماء حين يشور ، والنهر عندما  
يفيض ، وقد اصطفى الألفاظ التي لا ينوب عنها غيرها في معانيها  
فالآذي ، والعبرين ، والزبد ، واللجب ، والركام والينبوت كلها  
الفاظ تشعرك بالروعة والقوة ، وبالغ كما كان ذلك شأنه ، فلم نشعر



الا انه صادق فيما روى ، وهذا خير ما يرجى من شاعر .  
وصف النابغة الحية فأجاد في وصفه حتى انها لتخيف دون ان  
ترى ، فالصورة التي رسمها لها صورة نكراء ، وكذلك ابداع في  
وصف خلقها فهي خبيثة داهية «طويلة الأطراف من غير خفر» .  
واسلوب النابغة هو اسلوبه الجميل الرائع ، العذب السائغ ،  
فالحية : « لا تنطوي من القصر » وهي « طويلة الاطراف » وهي  
« قد صغرت من الكبر » .

ثم انتقل شاعرنا إلى وصف سم الحية وخبثها فأجاد في تصوير  
حال السليم عند العرب ، وفي رسم تطبيبتهم سليمهم ، فهم يلبسونه  
الحلي ويحكونها ؛ ليسمع جرسها فلا يغلب عليه النوم ، فيدب  
السم في جسمه ، وتنادر الرقاة اياها ، ينبىء أنها رقصاء قتول .  
أما الاسلوب ؛ فيبدو جماله في اتساع الفاظه ، وانتظام  
حروفه ، وملاءمة بعضها لبعض ؛ فالسين في البيت الثاني يشعر  
تكرارها بوسوسة الحلي ، وجرسها ، على ان السين أكثر من  
سواه في البيتين الآخرين ، وجعل خبر بات الجملة الاسمية التشبيهية  
قوي المعنى وزاده جمالاً .

## — صحة نسبة الشعر الجاهلي —

لا ريب في ان الشعر الجاهلي المصدر الوحيد لتاريخ الحضارة العربية قبل الاسلام ، ولا شك في ان الاصول التي يستند اليها في درس تاريخ الحضارة لا تختلف عن الاصول التي يستند اليها لمؤرخون عامة . وقد يكون من الخطأ التمييز بين درس تطوُّر الحضارة عند شعب من الشعوب ودرس تاريخ هذا الشعب خلال العصور .

ولعل افضل تحديد للتاريخ ما قاله ابن خلدون فيه ، من أنه « الخبر عن المجتمع الانساني » فيمتد عندئذ اثره ويشمل المؤسسات والانظمة وتطور الفكر وسائر ما يمكن ان يعد من عوامل الحضارة في المجتمع الحي ، اي في المجتمع الذي هو على تطور دائم ، ويضمحل الفارق بينه وبين تاريخ تطور الحضارة ، ويمسي من النافل ذكر الاحداث السياسية اذا كانت لم تترك أثراً في تطوير المجتمع .

### الاصول :

يستند تاريخ الحضارة الى اصول التاريخ الصحيح عامة ، وهي



البقايا المادية من الابنية واطلال ورقم ونقود ووثائق مختلفة يعمد المؤرخ الى تزيفها او الجزم بصحتها .

لكن هذه الاصول غير متوفرة لمن يستقصي احوال العرب في الجاهلية . فليس ثمة ابنية ، والعهد عهد خيام وبدواة ، وليس هنالك نقود والتجارة قائمة على المقايضة ثم على استعمال النقود الاجنبية كالدرهم والدنانير . ولا وثائق مكتوبة والعصر عصر ادب شفهي لا يعول على الكتابة .

والوثيقة المهمة المعروفة باللغة المضربة ، والتي ضمنها العرب ما يمكننا الاطلاع على احداثهم واخبارهم وكل ما يدل على حياتهم الاجتماعية هو الشعر ، لهذا قال ابن قتيبة : « الشعر ديوان العرب » اي ذلك السجل الذي تضمن احداثهم واخبارهم . وقال الأب لامنس اليسوعي « الشاعر الجاهلي هو صحفي تلك الأيام »

### صحة نسبة الشعر الجاهلي :

ومن البديهي ان يبحث المؤرخون في قيمة هذه الوثيقة التاريخية ، وان يتساءلوا عن صحة نسبة هذا الشعر الذي تناقله الرواة ردحاً طويلاً من الزمن قبل ان يتيسر له من يثبته بالقلم في عصر الأدب الكتابي ، عصر التدوين والكتابة .

واول من اكب على هذا البحث محمد بن سلام الجمحي

صاحب كتاب « طبقات الشعراء » في القرن التاسع الميلادي فقد اختار قسماً كبيراً من الشعر الذي كان يتناقله الرواة ، وضمنه كتابه وقدّم له ببحث مستفيض درس فيه اسباب نحل الشعر ، والاسس التي ارتكز عليها في اختيار ما ضمنه كتابه .

ثم نام البحث نحو الف سنة حتى قام المستشرق مرغليوث ونشر في المجلة ( الاسيوية الانكليزية ) سنة ١٩٢٢ مقالاً استغل فيه الأسباب التي اوردها محمد ابن سلام الجمحي لنحل الشعر في مقدمة كتابه طبقات الشعراء ، وتوسع فيها مع شيء من التحفظ .

وبوسعنا ان نتساءل بدورنا عن سبب هذا الصمت الطويل الذي قطعه مرغليوث بمقاله ، وقد . نهدي الى اكتشافه اذا عرفنا ان كتاب محمد بن سلام الجمحي « طبقات الشعراء » لم ينشر مطبوعاً إلا سنة ١٩١٦ في هولندا . ومن الراجح ان هذا الكتاب بقي مجهولاً مدة سني الحرب ، وانه لم يتيسر له الانتشار إلا بعد انتهائها فعثر عليه مرغليوث واستغله .

وبعد مقال مرغليوث وفي سنة ١٩٢٦ قام الدكتور طه حسين ونشر كتاباً اسماه « في الشعر الجاهلي » يقع في مائة وثمانين صفحة من القطع الصغير ووقفه كله على مهاجمة صحة نسبة هذا الشعر . والجدير بالذكر ان الدكتور طه حسين شك في كل ما وصل الينا من الشعر الجاهلي وتطرق شكه الى انكار وجود بعض



شعراء الجاهلية وقد رد شكه هذا الى اسباب ستة :

اولاً : لم تكن اللغة واحدة في جميع القبائل التي وردنا عنها الشعر ، قبل الاسلام ، ولم يكن بالتالي ممكناً ان تأتي هذه القصائد كلها في لغة واحدة .

ثانياً : كانت السياسة تدفع الكثيرين من المنتمين الى الاحزاب والقبائل المتنافرة الى نحل الشعراء ما لم يقولوه ، في سبيل مدح آبائهم واجدادهم .

ثالثاً : وضع المسلمون كثيراً من الشعر على لسان القدماء ولا سيما الكهان ليصوروا به انتظار القوم مجيء النبي كما كان اليهود ينتظرون مجيء المسيح ، وفعل القرشيون والانصار مثل هذا بعد الاسلام على سبيل المفاخرة .

رابعاً : نظم النصاصون الكثير من الشعر ووضعوه على لسان ابطال روايتهم .

خامساً : اورث تنافس الشعوبية والعناصر العربية كثيراً من الشعر المنحول .

سادساً : وضع الرواة والعلماء كثيراً من الشعر استعانوا به في سبيل تأييد نظرياتهم النحوية واللغوية .

احدث كتاب الدكتور طه حسين ( في الشعر الجاهلي ) موجة من الاستياء الشديد في الأوساط الأدبية والدينية مما اضطر

الحكومة الى اتلاف هذا الكتاب . ولكن طه حسين عاد في سنة ١٩٢٧ م ونشر الكتاب نفسه بعد ان حذف منه و اضاف اليه تحت عنوان ( في الأدب الجاهلي ) . وقد جاء هذا الكتاب في ثلاثمائة وستين صفحة من القطع المتوسط استغل فيه ما جاء في مقدمة كتاب « طبقات الشعراء » لمحمد بن سلام الجهمي وما ورد في مقال مرغليوث من اسباب نخل الشعر مع شيء من التعميم والشمول والتطرف والغلو بما كان له الأثر السيء في الاوساط العلمية والأدبية .

وقد تصدى للرد على الدكتور طه حسين جمهور غفير من الأدباء كان اكثرهم افحاماً واقواهم حجة الاستاذ احمد محمد الغمراوي في كتابه « النقد في الادب الجاهلي » . ولا نغالي اذا قلنا ان شهرة الدكتور طه حسين قامت على هذا الكتاب وأن ذبوع صيته كان نتيجة لمخالفته للمألوف وصدق من قال « خالف تعرف » .

التعليق : - بين هذه الاسباب الستة التي دفعت الدكتور طه حسين الى الشك في صحة نسبة الشعر الجاهلي جملة ، اول ما يستوعب الانتباه ، السبب الاول ، اي السبب اللغوي . فاذا صح ان كان لكل قبيلة لغة تختلف عن لغة جاراتها ، كان الشك في الشعر



الجاهلي مشروءاً ، واصبح النحل صحيحاً بيدنا . غير ان هذا  
يفتقر الى برهان ، وليس لدينا اي اثر نستدل منه على ان لغة  
القبائل لم تكن واحده .

اما الدكتور طه حسين فقد استند الى رقيم اثري وجد على  
قبر امرئ القيس البدء اول ملوك الغساسنة والذي اكتشفه  
المستشرق دوسو في بادية النماره . وهذا نصه كما يقرأ كل سطر  
على حده :

١ - تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر  
التاج .

٢ - وملك الاسدين ونزار وملوكهم وهرب مذبجو  
عكدي وجاء .

٣ - يزجود ؟ في جيح نجران مدينة شمر وملك معدو  
ونزل بنيه .

٤ - الشعوب وو كله لفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ - عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ١٧ بكسلول بلسعد  
ذو ولده .

« هذا لسان عربي تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى  
ايضاح ، وهالك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو : -

١ - هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج .

٢ - واخضع قبيلتي اسد ونزار وملوكهم ، وهزم مذحج الى اليوم وقاد .

٣ - الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر ، واخضع معدا ، واستعمل بنيه .

٤ - على القبائل وانابهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ - الى اليوم توفى سنة ٢٢٣ يوم ١٧ ايلول ( سبتمبر ) وفق بنوه السعادة .

ونتساءل امام هذا الاثر : الى اي عهد يرقى هذا القبر ؟  
والى اي عهد يرقى الشعر الجاهلي الذي هو بين يدينا الآن ؟ وفي  
اي مكان عثر على هذا القبر ؟ وفي اي مكان عاش الشعراء  
الجاهليون الذين نتكلم عنهم ؟

ولا نتعذر علينا الاجابة على هذه الاسئلة . فالرقم مؤرخ  
لحسن الحظ في ١٧ ايلول من سنة ٢٢٣ في اوائل القرن الثالث بين  
اقدم شعر وصل اليها لا يتجاوز اوائل القرن السادس .  
اما القبر فهو لأحد ملوك الغساسنة . ومعلوم ان لغة الغساسنة



كانت حتى ظهور الاسلام مشوبة بالسريانية ، وهم يعاقبه من  
مذهب الطبيعه الواحد . واننا لا نعرف شاعراً واحداً نبت  
من الفساسنه او من عرب الشام قبل الاسلام . ثم ان القبر  
وجد في النار ، في حوران والشعر الذي لدينا آت في معظمه  
من نجد والحجاز ...

وقد يحتج باصل امرىء القيس اليميني مثلاً ، ويقول لنا ان  
لغة اليمن كانت تختلف كل الاختلاف عن لغة الشمال ، لتأثرها  
بالحبشية والحميرية ، ولكن امرىء القيس ولد في نجد ، وكان  
اجداده ملوكاً على بني اسد ، وهو لم يعرف لغة اليمن القديمة  
في يوم من الايام .

وما من شك في ان نجد والحجاز واطراف العراق التي ورد  
عن شعرائها الشعر ، عرفت تعدداً في اللهجات ، ولكن هذا  
الاختلاف كان في اللفظ والنبرة ، لا في القواعد الاساسية فعنونه  
قيم وعجعة قضاة مثلاً شبهتان باختلاف لفظ الألف في لبنان  
التي يضمها اهل الشمال ويميلها اهل الوسط ويخفضها اهل الجنوب ،  
او باختلاف لفظ الكاف التي تلفظ « شينا » عند بعض العرب او  
« القاف » التي تقرأ « جيا » .

وبين البدو اليوم رحالون ينظمون بلهجاتهم ولكنه لا يتعذر

علينا فهم ما يقولون عندما نكتبه .

ومن الممكن ان تكون الحجة التي سبقت الاسلام عرفت  
اختلافاً بين اللهجات اقوى من هذا الذي نذكر ، ولكنه من  
الارجح ان نظام المعيشة الذي كان يفرض على القبائل الانتقال  
والاختلاط والاحتكاك الدائم في المراعي قرب اللهجات وساعد  
على توحيدها . لهذا لم يذكر محمد بن سلام الجمحي ، بين ما  
ذكر من اسباب للشك ، تعدد اللهجات بين قبائل العرب ، وهو  
اقرب من الدكتور طه حسين ومرغليوت للفصل في امرها .

اما الشعر المنحول الذي وضع لاسباب سياسية او دينية او  
عنصرية او لغوية فقد تنبه له القدماء وتتبعوه وبينوا زيفه . وفي  
الأغاني وغيره من المصادر القديمة روايات عديدة لأبيات ادرکها  
النقاد وشكوا في صحتها وطرحوها - وخير شاهد على صحة  
ما نقول كتاب « طبقات الشعراء » نفسه وكتاب « السيرة »  
لابن هشام .

اما الاشعار الموضوعة على السنة ابطال الروايات ، فانه لا يخطر  
ببال احد ان يصدق صحة نسبتها - واذا كان الدكتور طه حسين  
اتى على ذكرها ، فلكي تكون المجموعة كاملة . .

وكان الانسب ان يسمى كتابه « اسباب وضع الشعر على



ضوء ما قاله القدماء » وان يذكر فيه ان الشعر الموضوع قد  
ادركه الاقدمون وبينوا زيفه ، او على الأقل زيف معظمه .  
الشك حالة فلسفية تعتري الانسان ويتردى فيها بين اليقين  
واليقين . ولكن ما قيمة هذا الشك إذا كان لا يقودنا لا الى اليقين  
ولا الى الانكار ؟ والنقد الخارجي مستحيل في مثل هذه الحال ،  
لأنه يقودنا الى الرواة ، لا الى المخطوطة ، والنقد الداخلي ايضاً  
متعذر ، لانه يقودنا الى مقارنة قصيدة مشكوك فيها ، بقصيدة  
اخرى مشكوك فيها كذلك . فهو هنا ليس بالاسلوب العلمي  
في شيء .

ومهما يكن من امر وعلى فرض ان الشعر الجاهلي منجول  
بكامله ، فان نحله لا يقلل من قيمته كمصدر هام من مصادر تاريخ  
الحضارة العربية قبل الاسلام . ولو لم يكن الشعر المنجول صورة  
طبق الأصل من الشعر الأصيل لما انطى زيفه على الاقدمين ، ولما  
وصل اليها واثار بين ادبائنا مثل هذا الجدل .

- انتهى -

## - اسئلة -

- س ١ - تحدث بايجاز عن حياة النابغة ونشأته ؟
- س ٢ - تكلم بأسهاب عن آثاره وديوانه ؟
- س ٣ - اشرح وحلل وانقد الأبيات التي يصف فيها الثور الوحشي ؟
- س ٤ - قارن بين وصف الليل عند النابغة وبينه عند امرئ القيس ؟
- س ٥ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها الفرات ؟
- س ٦ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها الحية وسمها واثر خبثها ؟
- س ٧ - ماهي المصادر لتاريخ الحضارة العربية قبل الاسلام ؟
- س ٨ - اثبت او انف صحه نسبة الشعر الجاهلي ؟
- س ٩ - قارن بين موقفنا من الشعر الجاهلي وبين موقف الدكتور طه حسين منه ؟



## — الفهرست —

صفحة

|    |                                |
|----|--------------------------------|
| ٥  | النابعة الذبياني               |
| ٦  | حياته ، نشأته                  |
| ٨  | بين الحيرة ومدن غسان           |
| ٩  | اهتمامه بقومه — الشاعر السياسي |
| ١٣ | في بلاط النعمان                |
| ١٥ | الدس على النابعة               |
| ١٨ | عند الغساسنة                   |
| ٢٠ | الرجوع الى النعمان بن المنذر   |
| ٢٢ | وفاته                          |
| ٢٢ | صفاته واخلاقه — دينه           |
| ٢٥ | آثاره — الديوان                |
| ٢٨ | الوصف في شعره                  |
| ٣٠ | وصف الثور الوحشي               |

٣٣

وصف الليل

٣٤

وصف الفرات

٣٤

وصف الحية

٣٥

وصف اثر سم الحية وخبثها

٣٧

تحليل النصوص

٤٢

نقد النصوص

٤٧

صحة نسبة الشعر الجاهلي





## النقائس

سلسلة أدبية تبحث في الشعر والنثر  
تتلمذ الطالب والباحث والمدرس

## الوصف في سمرامري القيس

بقلم

طه محمد القاضي

( ليسانس في الادب العربي )

مفروق الطبع محفوظة

بيروت - نيسان ١٩٥٥

الطبعة الاولى

هدية  
المؤلف  
إلى  
مكتبة  
الدراسة  
ببيروت  
طه محمد القاضي



## المصادر والمراجع

امروء القيس : الروائع ٧ فؤاد افرام البستاني - الطبعة الثانية .

الشعر الجاهلي : ( الروائع ٢ : ٤٢ ) فؤاد افرام البستاني .  
ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب ( طبعة الحشاب مصر  
١٣٣٠ ( ١٩١١ ) .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ، مصر ، ١٣٠٢ ( ١٨٨٤ ) .  
ابن قتيبة : الشعر والشعراء ( طبعة de Cocie ) ليدن  
١٩٠٤ .

ابو الفرج الاصبهاني : كتاب الاغاني ، بولاق ١٨٦٨ في  
اجزاء عديدة خصوصاً : ٨ و ٢ .

ابن رشيقي : العمدة ، مصر ، ١٩٠٧ .  
البطليوسي : شرح ديوان امرئ القيس ، مصر ، ١٢٨٢  
( ١٨٦٥ ) .

الزوزني : شرح المعلقات ( طبعة حجرية بخط ابي صعب ،

دير القمر ، ١٨٥٣ .

التبريزي : شرح القصائد العشر ( طبعة Lyall ) كلاكتا ،

١٨٩٤ .

وليم ابن الورد : الشعراء الستة الجاهليون ، لندن ، ١٨٧٠ .

سليمان البستاني : مقدمة الألياذة ، مصر ، ١٩٠٤ .

الأب لويس شيخو : شعراء النصرانية بيروت ١٨٩٠ .

» » : مزدكية امرىء القيس المشرق ( ٨

( ١٩٠٥ ) ص ٩٩٨ ... )

البستاني : دائرة المعارف ، بيروت ، ١٨٨٠ .

عبد العظيم علي قناوي : الوصف في الشعر العربي ، الجزء

الأول : مصر ، ١٣٦٨ ، ( ١٩٤٩ ) .



## امرو القيس

### اجداده

#### ملوك كندة ووائل

يعود نسب شاعرنا الى كندة . وهي قبيلة يمنية الاصل ، كان اهل امرىء القيس مملكين عليها من قبل تبع ملك حمير . وحدث أن اشتدّ الخلاف بين البكرين في نجد ، وفسد امر حكامهم ؛ فاجتمع شيوخهم وحكامؤهم وقالوا : « ان سفهاءنا قد غلبوا علينا حتى اكل القوي الضعيف ، ولا نستطيع دفع ذلك . فترى ان نملك علينا ملكا نعطيه الشاء والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوي ، ويرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون . ولكننا نأتي تبّعاً فتملكه علينا . » فقصدوا ملك اليمن ، فملك عليهم حجراً امير كندة المعروف « بآكل المرار »<sup>(١)</sup>

(١) كان حجر هذا جد امرىء القيس . واصل تلقيبه بآكل المرار فيه آراء متضاربة اوجها انه سمي بذلك لكشر كان به - لان المرار ، وهو نبات شديد المرارة ، يقلص مشافر الابل . او سمي كذلك لانه ، لما بلغه سي امرأته اخذ يأكل المرار من الغيظ ، وهو يدري . ( راجع الاغاني : ٨ : ٦٣ )

فانتقل باهله الى ديار بكر ، في مقاطعة نجد ، وترك اليمن  
وهذا الحادث ينبغي ان امرء القيس ، وإن عدّ في شعراء  
اليمن ، فليس له من اليمنية الا النسب . اما النشأة الشاعرية  
والطريقة فهي نزارية محضة .

وسارحجر في ملكه على طريقة سوية ، فاصلاح فساد البكرين  
واعاد اليهم ما كان انتزعه اللخميون من ارضهم . وساسهم بحزم  
وادارة الى ان مات فأسفوا عليه .

ثم ملك ابنه عمرو المعروف « بالمقصود » . ثم الحارث بن  
عمرو ، جد امرئ القيس . وكانت امه من بني شيبان وهم  
ينزلون الحيرة . فنزلها وحكم فيها ، على عهد قباذ ملك الفرس .  
وحدث ان عاد الخلاف بين قبائل نزار فعم الفساد ، حتى  
اتى شرفاؤهم الحارث فقالوا : « انا في دينك ، ونحن نخاف ان  
نتنافى فيما يحدث بيننا . فوجه معنا بنيك ينزلون فينا ، فيكفون  
بعضنا عن بعض . » وكان للحارث خمسة بنين : حجر والد  
امرئ القيس ، ومعدي كرب الملقب « بالغلفاء » لانه كان  
يغلف رأسه بالطيب ، وشرحبيل ، وسلمة ، وعبد الله . ففرّقهم  
ابوهم في القبائل . فملك حجراً على بني اسد وغطفان . وملك  
معدي كرب على بني تغلب وطوائف بني دارم وبني رقية .



وملك شرحبيل على بكر بن وائل وحنظلة . وملك  
 سلامة على بني قيس . وملك عبد الله على بني عبد القيس . وبقي  
 الحرث زمناً في نعيم ، حتى طلبه انوشروان ، وكان لا يزال  
 حاقداً عليه لأنه كان قد مალأ - المزدكية على عهد والده قباد .  
 فبلغ ذلك الحرث ، وكان يقيم في الانبار ، فخرج هارباً في  
 هجائه وماله وولده . وتبعه الملك المنذر ، عامل كسرى ،  
 بكوكبة من خيل تغلب وبهراء واياذ . فلحق الحرث بارض  
 كلب ، فنجى بعد ان انتهب ماله . وقبض بنو تغلب على ثمانية  
 واربعين من بني آكل المزار فقتلوهم بجفر الاملاك . في ديار  
 بني مرينا العباديين ، بين دير هند والكوفة وفيهم يقول امرؤ  
 القيس .

الا يا عين بكى لي شميناً وبكى لي الملوك الذاهبين  
 وظل الحرث في بني كلب حتى قتله هؤلاء على قولهم " .

( ١ ) اما علماء كندة فيزعمون ان لم يقتله بنو كلب ، بل انه خرج يوماً  
 الى الصيد فتبع تيساً من الطباء فأعجزه . فحلف الا يأكل الا من كبده .  
 فطلبته الخيل ثلاثاً ، فاقى به بعد الثلاث وقد هلك الحرث جوعاً . فشوي له من  
 الكبدة وتناول فلذة فأكلها حارة ، فهات . اطلب ابن قتيبة : كتاب الشعر  
 والشعراء ، ص ٣٧ ، والاغانى ٨ : ٦٤ .

## مصير والده

وبتبي حُجر مدة ملك بني اسد يأخذ منهم اقاوة في كل سنة الى ان ارسل سنة جاييه في طلب ذلك . فمنعوه وضربوه ضرباً شديداً . وكان حجر بتهامة ، فسار اليهم بجند من ربيعة وكنانة وقيس . فأتاهم واخذ سرواتهم ، فجعل يضربهم بالعصا حتى الموت . فسمّوا « عبيد العصا » . وابعاهم وبيعهم الى تهامة فحبس فيها اشrafهم . ثم رق لهم ، فاستكانوا . حتى وجدوا منه غفلة فقتلوه .

وخلف حجر عدة اولاد اكبرهم نافع ، واصغرهم امرؤ القيس .



## امروء القيس

٥٠٠ ؟ - ٥٤٠ ؟ (١)

### حياته

قبل مقتل ابيه

اسمه

امروء القيس بن حجر ، بن الحرث الملك ، بن عمرو المقصور ، بن حجر آكل المرار ، بن معاوية ، بن ثور المعروف بكندة . ولد في نجد . وامه فاطمة بنت ربيعة ، اخت كليب

---

(١) ذكر الاستاذ افرام البستاني في العدد (٧) الطبعة الاولى من الروائع ان السنة ٥٦٥ تاريخاً لوفاة امرئ القيس جارياً اثر الاب شيخو ( شعراء النصرانية ، ص ٧ ) ولكنه اردف ذلك الرقم بعلامة استفهام (?) ثم عاد فراجع ما يذكره مؤرخوا الروم عن شاعرنا ، وقارن بين الحوادث التي جرت على عهده في البلاد العربية ، وما كان من علاقات بين امرائها وملوك الروم والفرس فراى ان تأخذ برأي دي برسفال الجاعل ولادة شاعرنا حول السنة ٥٠٠ ووفاته حول السنة ٥٤٠ محتفظاً بعلامة الاستفهام دلالة على عدم اطمئنانه التام للتاريخ المذكور .

والمهمل التغلبيين على قول ابن قتيبة<sup>١</sup> وصاحب الاغاني .  
 وللرواة بعض الاختلاف في اسمه فقد قال الوزير ابو القاسم  
 المغربي ان اسمه جندح « وامروء القيس » لقب غلب عليه لما  
 اصابه من تضعع الدهر ، ومعناه « رجل الشدة » ؛ وذكره  
 مؤرخو الروم باسم « قيس » . وهو امرئ ليس تحته اهمية ،  
 لبعد عصر الشاعر عنا ، وامكان تأويل هذا الاختلاف بأن  
 الوزير المغربي اراد ان يشرح معنى « امرئ القيس »<sup>٢</sup> ، وبأن  
 مؤرخي الروم لم يحفظوا الا المقطع الاخير من اسمه . اما ان

( ١ ) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٤ الاغاني - ٨ : ٦٣ - وقد شك  
 بعض المستشرقين وادباء العصر في الامر ، مستندين الى ان الشاعر لا يذكر  
 كلياً ولا المهمل ، بل يذكر خلافاً له يدعوه ابن كبشة فقالوا : قد تكون  
 اطمة المذكورة امرأة ابيه لا امه . وقد تكون هي التي شب بهافي قوله :  
 « افاطم مهلا بعد هذا التدلل ... » اما ابن قتيبة وصاحب الاغاني فيؤكداً  
 اولاً ان ام الشاعر هي فاطمة بنت ربيعة . وثانياً ان فاطمة المذكورة في شعره  
 « هي بنت العبيد بن ثعلبة بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة وهي التي يقول  
 فيها ايضاً : « لا وايك ابنة العامري » .. ابن قتيبة : ٤٨ ، والاغاني ٨ : ٢٦٠  
 ( ٢ ) وقد اشتهر غير صاحبنا من الشعراء باسم امرئ القيس منهم : امرؤ  
 القيس بن همام الكلبي ، وامروء القيس بن منذر الكندي ، وامروء القيس بن  
 عابس الكندي ايضاً والى هذا ينسب الرواة ابياتاً نجدها في ديوانه



نستنتج من اختلاف الرواة في اسم الرجل سبيلاً إلى الشك  
(وان كان شكاً يكتنفه الترجيح) في حقيقة وجوده<sup>(١)</sup>، فهي  
السداجة بعينها.

### ولوَّعه بالشعر - مآذاته

نشأ امرؤ القيس في الترف واللبو، شأن أولاد الملوك،  
فلم ينقصه امرؤ من ملذات الحياة، وكان جميل الطلعة وسيماً<sup>(٢)</sup>  
مفطوراً على الشعر، فنظمه فتى، وتوسع في أنواعه من أوصاف  
الملاهي والألعاب وأيام السرور والمغامرات الغرامية بكلام  
كان يتجاوز أحياناً إلى ذكر أمور أنف منها أبوه فجرمها عليه  
ونهاه عن قول مثل هذا الشعر، فلم ينته. فغضب منه وطرده  
فكان امرؤ القيس يتنقل في أحياء العرب، ومعه بعض  
الأصحاب من شبان طيء وكلب وبكر. فاذا صادفوا غديراً  
أو روضة، أو موضع صيد، نزلوا فيه، فاصطادوا، واكلوا،  
وشربوا الخمر، واقاموا ينشدون الشعر وتغني لهم القيان حتى  
ينضب ماء الغدير، أو ينفد الصيد. فيحملهم امرؤ القيس إلى  
غيره<sup>(٣)</sup>. وفي أثناء ملاهيهم هذه قال شاعرنا المعلقة على الأرجح

(١) الدكتور طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص ٢١١

(٢) ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص ٤٧

(٣) الأغاني ٨ : ٦٨

## بعد مقتل ابيه

وصول الخبر .

كان امرؤ القيس يبدمون من ارض الشام ، وقيل من ارض اليمن<sup>(١)</sup> ، يشرب الخمر ويلعب مع نديم له بالنزد ، اذا اتاه نعي ابيه . وكان ذلك ، على رأي دي برسفال<sup>(٢)</sup> حول السنة ٥٢٥ ، وعمر امرؤ القيس اذ ذاك نحو ٢٥ سنة . وهو يوافق رأي الهيم « ان امرء القيس لما قتل ابوه كان غلاماً قد ترعرع<sup>(٣)</sup> » وشرح ابن السكيت كيفية ذلك فقال : « ان حُجراً ، لما طعنه بعض بني اسد ولم يجز عليه ، اوصى ، ودفع كتابه الى رجل من بني عجل يقال له « عامر الاعور » وقال له : « انطلق الى ابني نافع ، فان بكى ماله عنه ، واستقر اولادي واحداً حتى تأتي امرء القيس ، فان لم يجزع ، فادفع اليه سلاحي وخيلي ووصيتي ، وقد كان يسن في وصيته من قتله ، وكيف كان خبره . فانطلق الرجل الى نافع ، فاخذ التراب فوضعه على

(١) الاغاني ٨ : ٦٨

(٢) de Perceval , o p. cit . 11 , 295 ( الروائع v الطبعة

الثانية ) .

(٣) الاغاني ٨ : ٦٨



رأسه . فتركه يبكي ، واستقراهم واحداً واحداً ، فكلهم  
فعل ذلك . حتى أتى امرؤ القيس فوجده في الحالة التي ذكرناها  
فقال له : « قتل حجر ! » فلم يلتفت إليه . اما النديم فامسك  
عن اللعب . فقال امرؤ القيس : « اضرب ! » فضرب حتى اذا  
فرغ قال : « ما كنت لافسد عليك دستك » (١) ثم اقبل على  
الرسول فسأله عن امر ابيه بالتفصيل فاخبره . فقال « ضيعني  
ابي صغيراً وحملني دمه كبيراً ! لا صحو اليوم ولا سكر غداً !  
اليوم خمر وغداً امر . » فذهب مثلاً .

ثم شرب سبعاً . فلما صبحا ، آلى الا يأكل لحماً ولا يشرب  
خمرأً ، ولا يدهن بدهن ، ولا يلهو بلهو ، ولا يغسل رأسه  
حتى يدرك رأس ابيه فيقتل من بني أسد مائة ، ويجز نواحي  
مائة . وقال :

ارقت ولم يارق لما بي ، نافعُ

وهاج لي الشوق والهموم الروادعُ

الاستعداد لطلب الثأر - وفود بني أسد

ثم شرع شاعرنا يعد العدد ويجهز الأسلحة لمحاربة بني أسد

---

(١) الاغاني ٨ : ٦٧ ٦٨

فبلغهم ذلك ، فوافدوا اليه رجالاً من كبارهم فيهم المهاجر بن خدّاش ، وقبيعة بن نعيم ، وكان هذا ذابصيرة بمواقع الامور . فكان بينهم وبين امرئ القيس مشهد مؤثر نقله صاحب الأغاني عن حديث يرقى الى ابي عبيدة عن سيديويه عن الخليل . فلما علم امرؤ القيس بمكانهم ، امر بانزالهم وتقدم باكرامهم والافضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثاً فسألوا عنه من حضرهم من رجال كندة ، فقالوا : « هو في شغل باخراج ما في خزائن ابيه حبر من السلاح والعدّة » .

فقالوا : « اللهم غفرّاً ! انما قدمنا في امر تناسى به ذكر ما سلف ، ونستدرك به ما فرط فليبلغ ذلك عنا » . فخرج اليهم في قباء ، وخف ، وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعتم بالسواد الا في التراث . فلما نظروا اليه ، قاموا له ، وبدر اليه قبيعة :

« انك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدّثه ايامه ، وتنتقل به احواله ، بحيث لا تحتاج الى تبصير واعظ ، ولا تذكرة مجرب ، ولك من سوّد دمنصبك ، وشرف اعرافك وكرم اصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من اقالة العثرة ، ورجوع عن هفوة . ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا



رجعت اليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم  
وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته  
نزاراً واليمن ، ولم تخصص كندة بذلك دوننا ... كان لحجر  
التاج والعمة فوق الجبين الكريم ، واخاء الحمد ، وطيب الشيم ،  
ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية بعده ، لما بخلت كرائمنا  
على مثله ببذل ذلك ، ولقد يناله منه

ولكن مضى به سبيل لا يرجع اولاه على اخراه ولا يلحق  
اقصاه ادناه . فأحمدُ الحالات في ذلك ان تعرف الواجب عليك  
في احدى خلال : اما ان اخترت من بني أسد اشرف بيتاً ،  
واعلاها في بناء المكرمات صوتاً ، فقدناه اليك بلسعة ، يذهب  
مع شفرات حسامك ... او فدائاً بما يروح من بني أسد من  
نعيمها ، فهي الوف تجاوز الحسبة ... واما ان توادعنا حتى  
تضع الحوامل ، فنسدل ، ونعقد الخمر فوق الرايات . «  
فبكى امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه ، فقال :

« لقد علمت العرب ان لا كفء لحجر في دم ، واني لن  
اعتاض به جملاً او ناقة ، فاكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد  
واما النظرة ، فقد اوجبتها الاجنة في بطون امهاتها ، ولن اكون لعطبها  
سبباً . وستعرفون طلائع كندة ، من بعد ذلك ، تحمل القلوب

حنقاً ، وفوق الأسنة علقاً .

« اذ جالت الحيل في مازق

تدافع فيه المنايا النفوسا ،

« أتقيمون ام تنصرفون ؟ »

قالوا : « بل ننصرف بأسوا الاختيار ، وابلى الاجرار ،

لمكروه واذية ، وحرب وبليّة » . ثم نهضوا عنه ، وقبيعة  
يقول متمثلاً :

« لعلك ان تستوخم الموت ، ان غدت

كتائبنا في مازق الموت ، تَطْرُ ! »

فقال امرؤ القيس : « لا والله استوخمه ! فرويداً لينكشف

لك دجاها عن فرسان كندة ، وكتائب حمير . ولقد كان

ذكر غير هذا اولى بي ، اذ كنت نازلاً بربيعي ، ولكنك

قلت فأجبت » (١)

### طلب الثأر

وارتحل امرؤ القيس فنزل على بكر وتغلب فاستنصرهم

فساروا معه الى ان ادركوا بني اسد . فقاتلهم حتى كثرت

---

(١) الاغاني ٨ : ٧٥ - ٧٦



الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم . وكانت تلك الواقعة على بني اسد ، فهربوا لاجئين الى المنذر الثالث ملك الحيرة . ولما أصبحوا تراجعوا بكر وتغلب عن نصره امرئ القيس وقالوا : « قد اصبت ثأرك » : والله ما فعلت ولا اصبت من بني كاهل ، ولا من غيرهم من بني أسد ، احداً » قالوا : بلى ولكنك رجل مشؤوم ! » وانصرفوا عنه .

عند ذاك لجأ امرؤ القيس الى ابن عمته عمرو بن هند ، وكان والياً لابيه المنذر ببقه ، بين الأنبار وهيت ، فمدحه . واستقبله عمرو فمكث الشاعر عنده زماناً . حتى عرف به المنذر ، وقد ذكرنا ان الاسديين لجأوا اليه ، فطلبه . فانذره ابن عمته . فهرب الى اليمن مستنصراً اذ وشنوءه ، فابوا أن ينصروه . فتركهم قاصداً ذوي قرباه من بني حمير ، فاعطوه خمسمائة رجل ، وتبعه غيرهم من شذاذ الطرق ، واستأجر من القبائل رجالاً ، فسار بهم طالباً بني أسد .

ومر في طريقه على تبالة وبها صنم كان العرب يعظمونه يقال له « ذو الخلصة » فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الأمر ، والناهي ، والمتربص . فاجالها ، فخرج الناهي . ثم اجالها ، فخرج الناهي . ثم اجالها فخرج الناهي . فجمعها وكسرها

وضرب بها وجه الصنم ، وقال : « ويحك ابو ابوك قتل ، ما عقتني ! » ثم خرج فظفر ببني أسد <sup>(١)</sup> .

طلب المنذر لامرئ القيس - تنقله في القبائل : « الملك الضليل » وكان ان المنذر شدد الطلب على امرئ القيس ، فوجه الجيوش في ذلك ، فتفرقت حمير . ونجا الشاعر في عصابة من بني آكل المرار ، وكان ذلك نحو السنة ٥٢٧ <sup>(٢)</sup> حتى نزل بالحرث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة ، ومعه ادرع خمس <sup>(٣)</sup> : الفضفاضة ، والعنافية ، والمحضنة والحريق ، وام الذبول ، كن لبني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك . فما لبثوا عند الحرث بن شهاب حتى بعث اليه المنذر مائة من رجاله يوعدده بالحرب ان لم يسلم بني آكل المرار . فاسلمهم . ونجا امرؤ القيس مع بنته هند وابن عمه يزيد بن معاوية بن الحرث والادرع والسلاح . وظل شريداً يتنقل على امراء العرب كسعد بن ضباب والعلی بن تيم في بني جديلة ، واسياد بني

(١) الاغاني ٨ : ٧

(٢) 311 , o p. cit. cit II , de perceval الروائع ٧ الطبعة

الثانية

(٣) وقد جعلها ابن قتبة « مائة درع » الكتاب المذكور ، ص ٥٤



فزارة ، وبني نيهان ، وبني طي ، حيث تزوج ام جندب  
وطلقها كما سيأتي ، حتى سمي « بالملك الضليل » . وقد مرت  
عليه ، في تنقلاته هذه ، صروف عديدة . فكثيراً ما طمع  
فيه ذوؤبان العرب ، وكثيراً ما تعرض للذل والسؤال . وقد  
انتهبت ابله في بني تيهان . فعوضوه منها عدداً من المعزى  
يتبلع بجليبها . فقبل ذلك بشكر وتحمله بصبر ، قائلاً :

الا ! ان لم تكن ابل ، فمعزى

كأن قرون جلتها العصي

اذ ما قام حالها ، أرنت ،

كأن الحي بينهم نعي

فتملاً بيتنا أقطاً وممناً ؛

وحسبك من غنى شبع وري<sup>١</sup>

واذ كان في بني فزارة قال له عمرو بن جابر بن مازن :  
« يا ابن حجر ، اني اراك في خلل من قومك ، وانا انفس بملك  
من اهل الشرف . وقد كدت بالامس تؤكل في دار طي . واهل  
البادية اهل بر لا اهل حصون تمنعهم . وبينك وبين اليمن  
ذوؤبان من قيس . افلا ادلك الى بلد تلجأ اليه ؟ فقد جئت قيصر

وجئت النعمان ، فلم ار لضعيف نازل ولا لمجتهد مثله ولا مثل صاحبه !» قال : « من هو؟ واين منزله ؟ » قال : « السموأل بتياء ... وفي حصن حصين وحسب كبير »<sup>(١)</sup>

### عند السموأل

ثم صاحبه عمرو مع رجل آخر من بني فزارة يقال له الربيع بن صنع ، فاوصله هذا الى السموأل . فاجاره ما شاء . الى ان رحل الى بيزنطية كما سيأتي ، تاركا عنده ابنته وادرع . فلم يسلمها هذا الالورثته على الرغم من ان الحرث بن ابي شمر الغساني ، طالب الادرع بعد وفاة الشاعر ، هدد بقتل ابنه . ففضل السموأل ان يقتل ابنه على أن يحفز ذمته . وهذه الحادثة هي المشهورة « بوفاء السموأل » .

### عند قيصر - فوز امرئ القيس

ولم يبق من شك اليوم ان امرئ القيس ، اثناء تطواقه في البلاد العربية ، ارسل الى يوستينيانوس قيصر ( ٥٢٧ - ٥٦٥ ) وفداً يطلب منه النجدة على مناوئيه ، دفعه الى ذلك ما كان يعرفه عن العهد المقصود بين جده الحارث وانسطاس قيصر ،

---

(١) الاغاني ٨ : ٧٢



الامبراطور السابق ، كما يفيدنا فوطيوس ناقل خبر سفارة 'نشوز  
الى الحبشة والحميريين وقبائل البادية'<sup>(١)</sup>

وكان ليوستنيانوس سببان يحملانه على اجابة طلب امرىء  
القيس : اولهما كون الطالب نصرانياً ، ونحن نعلم من التواريخ  
ان يوستنيانوس كان من الغيور على الدين ؛ وثانيهما ، وهو الاهم  
كما يظهر من قول بروكوب ، ان عدو امرىء القيس كان  
المنذر . والمنذر ، كما لا يخفى من عمال الاكاسرة ، منافسي  
القياصرة في بسط السيطرة على اطراف الجزيرة العربية .

فارسل يوستنيانوس ابراهيم ، والد ننوز المؤرخ المذكور ،  
« سفيراً الى امرىء القيس ( وهو يدعوه قيساً ) الذي كان  
يتولى امر قبيلتين عظيمتين هما كندة ومعد فعقد معه معاهدة ،  
واخذ ابنه معاوية الى بيزنطية ليبقى رهينة عند قيصر . »<sup>(٢)</sup>  
ويذكر بروكوب سفيراً آخر يسميه يوليان جاء من قبل  
يوستنيانوس نفسه الى ملك الحبشة وامير الحميريين كي يحملها على  
أن « يجعل امرء القيس ( وهو يدعوه قيساً ) وكان وقتئذ

(١) مجموعة مين الآباء اليونان . Migne , P . G . Phitii Bi L . clIII .

الروائع ٧ : الطبعة الثانية . Col. 46 .

(٢) Migne O P Cit . ClIII , col. .446 - 47

ضليلاً هارباً من وطنه ، على ولاية معد . وان يضها قواهما الى  
قوى جيشه فيهمجوا على بلاد الفرس . « ثم يزيد المؤرخ عن  
«قيس» هذا « انه كان احد رؤساء القبائل من نسل كريم وذا  
بطش في الحرب » وكان ذلك نحو السنة ٥٣١ .

على ان النجاشي لم يقيم بما عهد اليه . فعاد امرؤ القيس الى  
مراسلة يوستينيانوس . فارسل اليه قيصر المؤرخ ننوز نفسه ، ثم  
اباه ابراهيم ، فحمله هذا الى بيزنطية نحو السنة ٥٣٣ . ويقول  
ننوز انه قبل ذهابه « قسم ولايته على القبائل بين اخويه يزيد  
وعمر و . « اما يزيد فهو ابن عمه معاوية ، لا اخوه . واما عمرو  
فلم نسمع به . فقال من الامبراطور امارة فلسطين » ، وهو  
امرؤ لا نعرفه الا بفضل ننوز .

رجوع امرئ القيس - وفاته (٥٤٠) - اسطورة الحلة المسمومة  
على أن ننوز لا يشير بشيء الى ما تناقله كتب الادب العربي  
من ان امرئ القيس عرف ابنة قيصر وهام بها ، ونظم فيها  
الشعر ، وان قيصر علم بالامر ، بعد رحيل الشاعر من بلاطه  
فارسل اليه تلك الحلة المسمومة التي لم يكدها يلبسها حتى تناثر  
لحمه ومات .

بيد أن المعروف امرئ القيس بينما كان راجعاً من بيزنطية



اصيب ، في انقره ، بمرض كالجـدري ، فتوفي هناك نحو  
السنة ٥٤٠ .

ولعل البشور والقروح الناتجة عن هذا المرض اثارت مخيلة  
رواة العرب ، فأروا ان حادثة الحلة المسمومة اكثر تشويقاً  
واوفر شاعرية من هذا الموت الاعتيادي ، فألفوا تلك الاسطورة  
الجميلة ، وسمو الساعر « ذا القروح » .

وقبر امرؤ القيس في انقرة ، جنب امرأة من بنات الملوك  
مدفونة في سفح جبل اسمه « عسيب » ؛ على قول رواة العرب  
وهنا نرى تفنن الرواة ايضاً بذكرهم أن امرء القيس ، لما حضرته  
الوفاة واخبر ان صاحبة هذا القبر بنت ملك ، قال البيتين  
الريقين المشهورين <sup>(١)</sup> . وجاء في مخطوط قديم ان قيصر لما بلغه  
موت امرئ القيس أمر بان ينحت له تمثال ، وينصب على  
ضريحه . وظل التمثال هناك الى ايام المأمون ، وقد شاهده  
الخليفة في اثناء غزوه بلاد الروم <sup>(٢)</sup>

### دين امرئ القيس

بحث الكثيرون في دين امرئ القيس . وقد كانت حياة

(١) ابن قتيبة : ك . ٤٧٠ م ، والاغاني ٨ : ٧٣ — ٧٤

(٢) الاب لوييس شيخو : شعراء النصرانية ص ٣٥

الشاعر الخلاعية في اول عهده ، وتصرفاته المتناقضة في حياته من اتيان اعمال تشجبها الديانة المسيحية من جهة ، والقيام بامور يأتيها المسيحيون من جهة أخرى ، من اعظم أسباب العرقلة في تحديد دينه الحقيقي . ولهذا انقسم العلماء فرقاً فقال بعضهم : ان شاعرنا وثني يلتجئ الى الاصنام عند الحاجة . وقال آخرون لم يكن له من دين معروف ولم يكن ليهتم به — هذه الامور . وزعم الاب انستاس الكرملي انه كان على دين المزدكية المتسرب عن الفرس <sup>(١)</sup> . على أن القول الفصل في هذا الجدل يعود ، على ما نرى ، الى رأي الاب شيخو الذي قتل المسألة درساً في مقال ممتع ، فاستخلص أن امرء القيس كان من احدى البدع النصرانية ، وان لم يكن يمارس هذه الديانة . ولذلك اسباب منها :

١ - ابطال مزاعم القائلين بوثنيمته ومزدكيته .

٢ - خلو شعره من اثر الشرك .

٣ - اقراره بوحدانية الخالق في شعره .

---

(١) الاب انستاس الكرملي : دين امرء القيس الشاعر الجاهلي ( المشرق

٨ ( ١٩٠٥ ١٨٨٦ )



- ٤ - ذكره للشيء الكثير من الامور النصرانية .
- ٥ - انتشار النصرانية في كندة ، وهي قبيلة الشاعر .
- ٦ - نصرانية آله الظاهره في آثار عمته هند بنت الحرث المعروفة بهند الكبرى التي بنت دير هند ووضعت في صدره هذه الكتابة : « بنت هذه البيعة هند بنت الحرث بن عمرو... امة المسيح وام عبده وبنت عبيده .
- ٧ - خروج امرىء القيس الى قيصر ، وهو امر لم يكن يخطر على بال احد من العرب الوثنيين .
- ٨ - ما كتبه المؤرخان تنوز وبروكوب عن علاقات يوستينانوس بامرء القيس <sup>(١)</sup>

## آثاره

### الديوان - طبعاته وشرحه

لعل امرء القيس اول شاعر جاهلي نسبت اليه الاشعار بكثرة ، وفي مختلف الفنون . وقد جمعت اقواله من امد بعيد فظهرت اما على حدة او مع شعر غيره من الجاهليين . وكانت الطبعة الاولى لديوانه ، ما خلا المعلقة ، في باريس سنة ١٨٣٧

(١) الاب لويس شيخو : مزدكية امرء القيس الشاعر الجاهلي ( المشرق

٨ ( ١٩٠٥ ) ٩٩٨ - ١٠٠٦ )

عني بها المستشرق الشهير البارون دي سلان Deslame ، فقدم  
على قصائد امرئ القيس بحثاً طويلاً باللغة الفرنسية اردفه  
بتاريخ الشاعر المقتطف من كتاب الاغاني ، ثم نشر الديوان  
مع ترجمته الى اللاتينية . وطبع الديوان ايضاً في مصر مع  
شرحه للبطلينوسي سنة ١٨٨٢ هـ . ( ١٨٦٥ ) وفي مصر ايضاً  
سنة ١٣٠٨ هـ . ( ١٨٩٠ ) مع شرحه للوزير ابي بكر ابن  
عاصم . وطبع مؤخراً في مصر ايضاً سنة ١٩٣٠ . وفي السنة  
١٨٩٠ ، ظهر اول قسم من كتاب شعراء النصرانية للاب  
لويس شيخو اليسوعي وباوله بحث واسع في شاعرنا . مع مجموعة  
شعره .

واكثر هذا في الوصف يتناول به مجمل ما يظهر في حياة  
البدوي عامة ، وما يكتنف امرئ القيس خاصة ، وهو كما  
رأينا في حياته ، امير يحب اللهو والصيد والمغامرة في حوادث  
الغرام ، ثم بطل متشرد ينشد عرش ابيه والأخذ بثأره .  
فترى اذن في شعره ، من جهة وصف الملاهي وايام الصيد  
والحيول والجمال ، ومن جهة اخرى تهديده لقاتلي ابيه وذكر  
اسفاره المتعددة ،

على أن اشهر ما في هذه المجموعة من القصائد المعلقة ، وهي



الاولى بين المعلقة ، فتستحق درساً خاصاً .

## الوصف في شعره

### نصوص مختارة

وصف الأطلال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل <sup>(١)</sup>

فتوضح فالمعرة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمال <sup>(٢)</sup>

ترى بعر الآرام في عرصاتها

وقيعائها كأنه حب فلفل <sup>(٣)</sup>

---

(١) قفا : يخاطب رفيقه . ذكرى : تذكر . سقط اللوى : منقطع الرمل . الدخول وحومل : موضعان .

(٢) توضح والمعرة : موضعان ، وهذه المواضع الأربعة ما بين امرة الى اسود العين واسود العين جبل . منازل كلاب . لم يعف رسمها . لم يمح اثرها . نسجت الريح : اسقت الرمل ، الجنوب والشمال : ريحان متضادان تهب الاولى من الجنوب وتهب الاخرى من الشمال .

(٣) الآرام : جمع رئم ، وهو الطيب الأبيض الخالص البياض والآرام مقلوب آرام . عرصاتها : ساحاتها مفردا عرصة . القيعان : جمع قاع وهي الارض المستوية لا بناء فيها .

كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا  
 لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٌ <sup>(١)</sup>  
 وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلِيٌّ مَطِيهْمٌ  
 يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجْمَلُ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِنْ شَفَائِي عَبْرَةٌ مَهْرَاقَةٌ  
 فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ <sup>(٣)</sup>  
 وَصَفِ اللَّيْلِ :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

---

(١) غداة البين : صبيحة الفراق . يوم تحملوا : يوم ارتحلوا . لدى  
 سمرات الحي : عند اشجار الطلح لاهل حي . ناقف حنظل : جاني حنظل ،  
 والناقف هو الذي يستخرج الحب .  
 (٢) صحبي : جمع صاحبي اصحابي . مطيهم : ابلهم . اسى : حزناً . تجمل :  
 تزين بالصبر .

(٣) عبرة : دمعة . مهراقة مسالة ، ومهراقة لغة بني اسد يقولون بدل  
 اراق هراق . رسم دارس . اثر زائل . من معول . من معتمد او من اعماد



علي ، بانواع الهموم ، ليبتلي <sup>(١)</sup>  
فقلت له ، لما تمطى بصلبه ،

واردف اعجازاً ، وناءً بكلكل <sup>(٢)</sup>

الا ايها الليل الطويل ، الا انجلي

بصبح وما الأصباح منك بامثل <sup>(٣)</sup>

فيالك من ليل ، كأن نجومه

بامراس كتان الى صمّ جندل <sup>(٤)</sup>

يزل الغلام الخف عن صهواته ،

ويلوي باثواب الغنيف المثل <sup>(٥)</sup>

دري كخذوف الوليد ، امره

---

(١) السدول ، جمع سدل ، وهو الستر . ليبتلي ، ليختبر .

(٢) تمطى ، تمدد . الصلب ، الظهر . اردف ، اتبع . الاعجاز ، جمع عجز وهو المؤخر . . ناء مقلوب مقلوب نأى ، بعد . الكلكل ، الصدر .

(٣) الامثل ، الافضل .

(٤) الامراس ، جمع المرس وهو الحبل . الصم ، جمع الاصم وهو الصلب

الجندل ، الصخر .

(٥) الصهوات ، جمع الصهوة ، مقعد الفارس من ظهر الفرس . الغنيف ،

ضد الرفيق .

- ١) تتابعُ كفيه بخيط موصل  
له ايطلاظي ، وساقا نعامة
- ٢) وارخاء سرحان ، وتقريب تتقل  
ضليع اذا استدبرته ، سد فرجه
- ٣) بضاف ، فويق الارض ليس باعزل  
كان على المتنين منه ، اذا انتحى ،
- ٤) مداك عروس او صلاية حنظل  
كان دماء الهاديات منجره
- ٥) عصارة حنابر بشيب مرجل

- 
- (١) الدريز ، بمعنى اسم الفاعل من الدر ، صفة للفرس الذي يدر الجري اي يديه ، ويتابعه ، ويواصله ، ويسرع فيه . الخنزوف ، آلة مستديرة من جلد او خشب .
- (٢) الايطل ، الخاصرة ، جمعها اياطل . الارخاء ، ضرب من عدو الذئب يشبه جنب الدواب . السرحان ، الذئب . التقريب ، ضرب من العدو يكون بوضع الرجلين موضع اليدين . التتفل ، ولد التعلب .
- (٣) الضليع ، العظيم الاضلاع . الاستبداد . النظر الى الشيء من مؤخره . الفرج الفضاء بين اليدين والرجلين . طويل سابغ ، نعت لمحدوف تقديره ذيل . الاعزل ، الذي يميل عظم ذنبه الى احد الجنين .
- (٤) المتنان ، ما عن يمين الفقار وشماله . الاتحاء ، الاعتماد المداك ، الحجر الذي يسحق به الطيب . الصلاية ، الحجر الاملس الذي يسحق عليه شيء .
- (٥) الهاديات المتقدّمات الرجل ، من الشعر المسرح .



فعنَّ لنا سربٌ ، كأن نعاجه

عذاري دوار في ملاء مذيل<sup>(١)</sup>

فادبرت كالجزع ، المفصل بينه

بجيد مقمّ ، في العشيرة ، نخول<sup>(٢)</sup>

فالحقنا بالهاديات ، ودونه

جواحرها ، في صرة لم تزيل<sup>(٣)</sup>

فعادى عداء بين ثور ونعجة

دراكا ، ولم ينضح بماء فيغسل<sup>(٤)</sup>

فظل طهاة اللحم من بين منضج

صفيف شواء ، او قدير معجل<sup>(٥)</sup>

---

(١) عن ، عرض ، ظهر . سرب ، قطع . النعاج ، اناث الضأن وبقر الوحش وهذا هو المراد . الدوار ، حجر كان عرب الجاهلية ينصبونه فيطوفون حوله تشبها بالطائفتين حول الكعبة .

الملاء ، ملاءة . المذيل ، الطويل الذيل .

(٢) الجزع ، الخرز اليماني . الجيد ، العنق . المعم ، الخول ، الكريم

الاعمال والاخوال

(٣) الجواحر ، المتخلفات . الصرة ، الجماعة . التزيل ، المفترق

(٤) العداء ، الموالاة ، الدراك ، المتابعة .

(٥) الطهاة ، جمع الطاهي ، الطابخ . الصفيف ، اللحم المصفوف على الحجارة

القدير ، اللحم المطبوخ في القدر .

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه

متى ما ترقَّ العين فيه تسهل<sup>(١)</sup>

فبات عليه سرجه ولجامه ،

وبات بعيني قائماً ، غير مرسل<sup>(٢)</sup>

### وصف البرق

اصاح ترى برقاً أريك وميضه

كلمع اليدين ، في حي مكلل<sup>(٣)</sup>

يضيء سنه ، او مصابيح راهب

امال سليطاً بالذبال المقتل<sup>(٤)</sup>

---

(١) الترقى ، الارتفاع (٢) غير مرسل ، غير مرسل الى المرعى

(٣) الحبي ، السحاب المتراكم سمي كذلك لانه حبا بعضه على بعض فتراكم

المكلل ، نعته بذلك لانه صار اعلاه كالأكليل لاسفله

لمع اليدين ، اي اريك وميض هذا البرق في السحاب المتراكم يلمع

كتحريك اليدين

(٤) السليط ، الزيت . انذبال ، جمع ذبالة وهي الفتيلة .



## وصف السحاب والبرق والغيث :

ديمة هطلاء فيها وطف

طبق الأرض تحرى وتدر<sup>(١)</sup>

تخرج الود اذا ما أشجذت

وتواريه إذا ما تشتكر<sup>(٢)</sup>

وترى الضب خفيفاً ماهراً

ثانيا برثنه ما ينعفر<sup>(٣)</sup>

وترى الشجراء في ريعتها

كرءوس قطفت فيها خمر<sup>(٤)</sup>

---

(١) الديمة ، المطر يدوم في سكون دون رعد ولا برق . الوطف ، استرخاء السحابة . تحرى ، تتحري المكان وتثبت فيه . تدر ، تمثلي .

(٢) الود ، اسم جبل . أشجذت ، اقلعت وسكنت . تواريه ، تخفيه . تشتكر ، تهطل بالمطر وفي رواية تعتكر

(٣) الضب ، حيوان زاحف يشبه الجرذون . البرثن ، الخلب . ما ينعفر ، لا يصيبه العفر وهو التراب .

(٤) الشجراء ، الارض ذات الشجر . ريقها ، أولها . خمر ، جمع خمار ، وهو للمرأة كالعمامة للرجل .

ساعة ، ثم انتحاهها وابل

ساقط الاكناف ، واه ، منهجر <sup>١</sup>

راح قمريه الصبا ، ثم انتحى

فيه شؤبوب جنوب منفيجر <sup>٢</sup>

شبح حتى ضاق عن آذيه

عرض خيم ، فخفاف ، فيسر <sup>٣</sup>

- 
- (١) انتحاهها : قصدها . وابل : مطر شديد يصدر عنه السيل . ساقط  
الاکناف : ثابت النواحي . واه : ضعيف يتشقق منه الماء ، وينخرق عنه  
المطر . منهجر : شديد الانصباب .
- (٢) راح : سار عشيا . قمريه : تندرته . واصله من مري الضرع اذا  
مسحه ليدر . الصبا : ريح باردة تهب من الشمال ، شؤبوب : دفعة من المطر  
الجنوب : ريح تهب من الجنوب .
- (٣) شبح : سال وصب . آذيه : موجه . عرض ناحية او اتساع خيم وخفاف  
ويسر : اساء امكنة قريية من الدهناء ، او في بلاد بني يربوع .



## وصف الحمار الوحشي :

كأني ورجلي فوق أحقب قارح

بشربه أوطاو بعرنان موجس<sup>١</sup>

تعشى قليلاً ، ثم انحى ظلوفه

يثير التراب عن بيب ومكنس<sup>٢</sup>

يهيل ويذري تربها ويثيرها

اثارة نباش الهواجر مخمس<sup>٣</sup>

فبات على خد أحم ومنكب

وضجعتة مثل الأسير المكردس<sup>٤</sup>

---

(١) الاحقب : الحمار الوحشي الابيض مكان الحقيية . القارح : الذي

شق نابه . شربة : اسم عين ماء . طاو ، جائع غرثان . بعرنان ، عرنان ، اسم جبل . موجس ، حذر ، خائف .

(٢) انحى ظلوفه ، عدل اظافره استعداداً للنش . يثير ، يسقى الكناس

والمسكن (٣) يهيل ، يسقط . يذري ، يطير ويثير . نباش الهواجر ، النباش في اوقات الظهيرة وهذا الوصف يغلب الضيعة . مخمس ، خامس خمسة .

(٤) احم ، اسود او ابيض فهو من اسماء الاضداد ، والوصف بالبياض هو

المراد . اذ وصفه باول بيت بانه احقب . المنكب ، مجتمع الكتفين . المكردس ، المقيد .

وبات الى أرطاة حقف كأنها

إذا الثقتها غبية بيت معرس<sup>(١)</sup>

فصبحه عند الشروق غدية

كلاب ابن مروا و كلاب ابن سبنس<sup>(٢)</sup>

مغرثة زرقاً كأن عيونها

من الذمر والايحاء نوار عرس<sup>(٣)</sup>

فأدبر يكسوها الرغام كأنها

على الصمد والاكام جذوة مقبس<sup>(٤)</sup>

---

(١) الى ارطاة ، الى جاب شجرة ارطاة . وثمر هذا الشجر يشبه العناب الحقف ، الرمل المجتمع . الثقتها : بللتها ولذتها . غبية ، الغبية الدفعة الشديدة من المطر . المعرس ، المتخذ له عرسا .

(٢) فصبحه ، جاءه عند الصباح . غدية ، تصغير غدوة . ابن مروا بن سبنس . صيادان ماهران من قبيلة طيء .

(٣) مغرثة ، مجاعة لتكون اشد فتكا ، واقوى عدوا . الذمر ، الاثارة والالوم والتحريض . الايحاء ، الايام . والاشارة . نوار ، زهر النبات العرس شجر له نور احمر .

(٤) فأدبر ، فرجع . يكسوها الرغام ، يغطيها الغبار . الصمد ، المكان المرتفع . الاكام ، جمع اكمة وهي كالصمد في المعنى . جذوة . شعلة . مقبس طالب قيس من ناز .



وأيقن إن لا قيمه اب يومه

بذي الرمث إن ماوته يوم أنفس<sup>١</sup>

فأدر كنه يأخذن بالساق والنسا

كما شبرق الولدان ثوب المقدس<sup>٢</sup>

وغورن في ظل الفضا وتر كنه

كقرم الهجان الغادر المتشمس<sup>٣</sup>

---

(١) ايقن : وثقن . بذي الرمث : كناية عن مكان به من شجر الرمث الكثير . ماوته : صابرته وجالده حتى الموت . يوم انفس : يوم زهاق انفس  
(٢) يأخذن : يعنفن الساق : ما بين الكعب والركبة . النسا : عرق من اللورك الى الكعب . شبرق : مزق . الولدان ، الغلمان . المقدس ، الرجل المطهر نفسه من الادناس .

(٣) غورن ، سرن في الارض المنحدرة ، كقرم الهجان ، كالفجل الكريم الغادر ، الناقة المنفردة . المتشمس ، الشموس النفور .

وصف حرب ناشبة بين عقاب وذئب :

كأنها حين فاض الماء واحتملت

فتخاء لاح لها بالفقرة الذئب<sup>١</sup>

فأبصرت شخصه من فوق مرقبة

ودوت موقعها منه شناخيب<sup>٢</sup>

فأقبلت نحوه في الجو كاسرة

يخنها من هوى اللوح تصويب<sup>٣</sup>

صبت عليه ولم تنصب من امم

إن الشقاء على الاشقين مصبوب<sup>٤</sup>

---

كأنها ، الضمير يعود على الفرس التي كان يصفها قبلا . الاحتمال ، الانتقال  
فتخاء ، لينة الجناحين عريضةتها .

( ٢ ) المرقبة : المكان المرتفع بعلوه الرقيب . الشناخيب ، مفردها  
شنخاب او شنخوب ، اعلى الجبل .

( ٣ ) كاسرة ، منقفة تكسر جناحيها . يخنها يدفعها . هوى ، سقوط .  
اللوح ، بضم اللام الهواء بين السماء والارض . لصويب ، انحدار .  
( ٤ ) صبت عليه . اندفعت اليه . من امم ، من قرب .



كالدلو بتت عراها ، وهي مثقلة

اذ خانها وذم منها وتكريب<sup>(١)</sup>

لا كالتى في هواء الجو طالبة

ولا كهذا الذي في الارض مطلوب<sup>(٢)</sup>

كالبرق والريح مرآتاها عجب

ما في اجتهاد على الاصرار تغيب<sup>(٣)</sup>

فأدر كته ، فنالته مخالباها

فانسل من تحتها ، والدف مثقوب<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) بتت عراها ، قطعت مقابضها . وهي جمع عروة . مثقلة ، ممتلئة ثقيلة .  
الوذم ، سيورين آذان الدلو ، ويجمع على وذوم ، وأوذام . واوذم التكريب  
جعل الكرب وهو الحبل في الدلو .

( ٢ ) كالتى في هراء الجو ، كناية عن العقاب ، طالبة ، باغية صيداً وحرباً  
كهذا ، اسم الاشارة عائد على الذيب . مطلوب ، مرغوب صيده .

( ٣ ) كالبرق ، يقصد العقاب . الريح ، يقصد الذئب . مرآتاها تشية مرآة  
بمعنى منظرهما . عجب ، عجب ، غريب . التغيب ، التقصير .

( ٤ ) مخالباها ، جمع مخلب اظفارها . فانسل ، فنزع نفسه برفق . الدف  
مثقوب ، الجنب منقوب .

يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت

منها ومنه على الصخر الشايب<sup>١</sup>

ثم استغاثت بمن الارض تعفره

وباللسان وبالشدقين تتريب<sup>٢</sup>

ما أخطأته المنايا قيس انملة

ولا تحرز الا وهو مكتوب<sup>٣</sup>

يظل منججراً منها يراقبها

ويرقب الليل ان الليل محبوب<sup>٤</sup>

---

(١) يلود ، يلجأ ويحتمي . فترت ، تراخت . منها ومنه : من العقاب والذئبة الشايب ، جمع شؤبوب ، يريد شدة الدفاع كل منها .

(٢) استفانت ، استعانت والضمير يعود على العقاب . تتريب ، تراكم التراب فوق الشيء .

(٣) المنايا ، جمع منية ، وهي الموت قيس ، مثل قيد يعني قدر انملة ، والانملة ، رأس الاصبع . تحرز ، تحصن . مكتوب ، مكروور عليه ، مهجوم نحوه من كتب اذا كر .

(٥) يظل يبقى طوال يومه . منججراً ، مخبئاً في الجحر يراقبها ، يلاحظها ويرقب الليل ، ينتظره محبوب ، مرغوب فيه لانه منقذ له .



وصف الحرب وسوء عواقبها :

الحرب اول ما تكون فتيمة

تبدو بزینتها لكل جهول

حتى اذا حميت وشب ضرامها

عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزت شعرها وتنكرت

مكروهة بالاثم والتقميل

## تحليل النصوص

وقف شاعرنا واستوقف وبكى واستبكي ثم قال : « ايها الخليلان الوفيان ، قفا فأسعداني بالبكاء ، من تذكر حبيب عزيز علي ، ومنزل كريم لدي ، لقد تذكرت حبيباً تساقينا معا افويق الهوى ، ومنزلاً تبادلنا فيه اسباب اللهو ، ذلك المنزل الكريم عند منقطع الرمل بين الدخول ، وحومل ، وتوضح والمقراة . تلك الدار لم ينمح اثرها ، ولم يعف رسمها لنسيم الرياح السافيات فحسب ، واكنها انمحت لمر الدهور ، وعفت لكر الايام ، ترى في مكان تلك الدار بعير الظباء الصافية البياض يملأ عرصاتنا ، كأنه في سواد لونه ، واستدارة شكله ، وصغر حجمه حب الفلفل .

كأنني صبيحة احتملهم وغداة ارتحلهم عند شجر الطلح الذي يستنبته اهل الحي أنقف الخنظل ، واستخرج منه حبة ، فتسيل مآقي ، وتجري عبراتي ، لقد وقف أخلاي مطاياهم على تلك الدار يشاركونني في أساي ، ويسلونني عن وجدي ، قائلين : صبراً وجلداً ، وتحملاً وتجملاً ، لا يهلكك الأسى ، ولا يقض عليك الوجد ، وتجمل بالصبر وتحمل بالجلد .

ان دوائني مما الاقي من وجد دمة تراق . وشفائي مما اجد



من اسى عبوة نصب ، ومع ذلك فما جدوى البكاء على الرسوم  
وما فائدة اراقة الدموع على الاطلال ؟

وما ان انتهى من وصف الاطلال حتى راح يصف الليل  
فقال شاكيا من ليله الذي طال امده ، فزداد عليه الالم فيه :  
« رب ليل كموج البحر المتلاطم اسدل علي ظلمته ، وبسط فوقى  
وحشته ، وارسل الي الواناً من الهموم ، واسدل علي انواعاً  
من الاحزان ، ، ليختبر مني ويمتحن قواي ، ويتبين جلدي  
وصبري ، فقلت له وقد رأى مني صبراً وعزماً ، وقوة ومنة .  
ايها الليل الطويل اتمنى عليك بعد ان عرفت عزيمتي ان  
ينفلق صبحك ، وينكشف ضوءك ، وان تزول غياهبك ،  
وتنهتك استارك ، وان يكن ذلك الصبح المأمول ليس باوضح  
منك وجها ، ولا بامثل منك حسناً ، فكلما كما مبعث هم ،  
ومصدر غم و كرب ، ولكنه التغيير قد يشعر ببعض الراحة .  
ما اعجبك ليلا ثابتاً لا يتزعزع ! راسخاً لا يتزعزع ،  
حتى لكان نجومه السائرات شدت الى رأس من الجبال بغمار  
القتل من الامراس والجبال ، فليس لها مسير وان طال  
بها الامد .

وانتقل بعد ذلك الى وصف الفرس وراح يتغنى بمحاسن

جواده فقال : « قد اغدو بكرة مرحاً نشيطاً ، واي نشاط او  
فر من نشاط اسبق به رمز النشاط ، اسبق به الطيور التي لا  
تزال في وكراتها لما تصح لتتشقق وتغرد ، اغدو معتلياً صهوة  
جواد كريم ، قد انحسر شعره لوفرة سمه ، جواد ماض لا  
يقف في طريقه كائن حتى انه ليقيد بسرعته الوحوش الآبدة ، فما  
تستطيع حراكا وهو الفرس النهذ العظيم ، المكر فلا يسبق ،  
المفر فلا يلحق ، المقبل حين تريد اقبالاً فلا يصد ، المدبر اذا  
رغبت في ادباره فلا يرد ، وهذه الصفات متجمعة في قوته ، لا  
أنه يأتيها جميعها ، كأنه في سرعته وصلابته حجر عظيم أسقطه  
السيل الزاحف ، من السمو الى الهوى ، هذا الفرس الكمية  
الضخم الجسم ، المكتنز اللحم ، حتى ليسقط اللبد عن أوسط  
ظهره سقوط الصخرة الملساء بالمطر الهاطل ، وهو ضامر ذابل  
كثير الجيشان ، حتى لتخال تكسر صوته اذا حمى في عدوه  
جيشان الماء في الرجل .

يصب هذا الجواد عدوه صبا ، فيأتي بأفانين تتيح له السبق  
في الوقت الذي ادرك الجياد السابحات الونى والكلال ، ويبدو  
ذلك الاعياء من انها تثير في الارض الصلبة الغبار ، يزلق الغلام  
النهيف الخفيف الذي لم يدرب على الفروسية عن صهوته ،



ويرمى بأثواب الفارس العنيف الماهر الشديد في جهات ثلاث ،  
يرمى بها الى اعلى والى شمال والى يمين ، وهو يستدر عدوه ،  
ويوالي جريه كما تدر ذوات اللجن ضرعها ادراراً متتابعاً او هو  
في تتابع أفانين سبقه كخذروف الصبي أحكم قتل خيطه ،  
وتتابع كفاه في ادارته بخيط قطع ثم وصل ، فهو كالخذروف  
يبدأ هادئاً ، ثم يشتد شيئاً فشيئاً بين انبساط وانقباض .  
ترى لذلك الفرس النهدي خاصرتي ظبي ، وساقى نعامة قصيرتين  
صلبتين ، وسيرا كسير الذئب ليس بالشديد ولا البطيء ،  
وتقريباً في سيره بين قوائمه كما يفعل ولد الثعلب عندما يسرع  
اذ تقع قدماه الخلفيتان مكان قدميه الأماميتين ، فهو قد أخذ  
من كل حيوان اجمل ما يتصف به ، فأخذ من الظبي خصره  
الضامر ، ومن النعامة ساقها القصيرة الصلبة ، ومن الذئب سيره  
المرخى ، ومن التنفل تقريب قوائمه في سيرها .

وهو مع ضمور خصره عظيم الاضلاع ، ممتلىء الجنين ، اذا  
تأملته مستدبراً رأيت يسد الفضاء الذي بين قائمتيه بذنبه الضافي  
السابع الذي يكاد يصل الارض ، في استقامة واستواء ، كأن  
ظهره الاملس حينما ينزع عنه سرجه قائماً امام البيت في صفائه  
وملاسته مداك عروس او صلابة حنظل ، واختياره مداك

العروس ؛ لأنه دائم الطيب ، وصلاية الحنظل لانه يسيل منها  
دهن فتلمع جوانب الصلاية وتبرق ، وكذلك جلد الفرس فيه  
نصاعة وصفاء ، ولمعان وبريق .

هذا الفرس يقيد الأوابد ، ويدرك الهاديات الشوارد ،  
وفارسه حينئذ يطعنهما طعنة عميقة يتدفق منها الدم غزيراً ،  
فيخرج سخر ذلك الفرس الكريم ، فاذا هو كالشيب الرجل  
بالحناء ، لقد عرض لنا قطيع من البقر الوحشي هو آية الجمال  
وعنوان الحسن ، فظهورها بيض نواضع ، وقوائمها سود حوالك  
يشبهن فتيات عذراوات ، يملك صفاء بشرتهن القلوب ، وقد  
اسبغن على أرجلهن ملاء سودا ذوات اذيال سايفة ، ويختلن  
اختيال اولئك العذارى اذ يبدون حوله يقدسنه ويعظمونه ،  
واذهن في تلك الحال المألئى بأسباب المسرة بدون هن ففرعن  
اعظم الفزع ، وأدبرن متفرقات وكن من حين متجمعات تحتالات  
فبدون في تفرقهن كالجزع سائره ابيض وأطرافه سود ، وقد  
فصل بعضه عن بعض بجوهر كريم ، يزدان به عنق غلام نبيل ،  
فهو كريم الاعمام والأخوال ، ولكن تفرقهن لم يفتن شيئا ؛  
اذ الحقنا الجواد الكريم بالسوابق منهم ، وترك من خلفه الجواحر  
المتخلفات ، فاراد كه للاوائل كفيل باقتناص الاواخر .



وهي اذ تفرقت تفرقت جماعات ، فعادى بينها عدااء ،  
ووالى الجري موالاة ، بين ثيران ونعاج ، فأدر كهن لم يجهد  
الادراك ، ولا استقاه العدو ، فلم يسئل منه عرق ، فيغسل  
جسمه .

ثم وصف البرق فشبه لمعانه وضوءه وتحركه بضوء مصباح  
الراهب اذا صب الزيت في سراجة فحرك الفتائل ، فتايل النور  
في حنايا المعبد المظلمة - وفي الشطر الثاني قلب اصله : امال  
الذبال بالسليط . ثم وصف السحاب والبرق والغيث في قصيدة  
غير المعلقة ، فقال : « هذه مطرة دائمة التسكاب » ومزنة  
ماضية الانصباب ، غايتها ملء اطباق الأرض بدموعها الغزار ،  
فترى اوتاد الاخبية بادية ظاهرة عندما تقلع عن السكب وخافية  
متوارية عندما يحتفل المطر ، ويشتد الغيث ، فهي تبدو اذا  
هدأت ، وتتوارى اذا غضبت ، وترى الصنب ، وقد ابرزه  
المطر من حجره ساجماً ماهراً ، خفيفاً نشيطاً ، يثني برثنه  
ويبسطة ، كما يثني السابح ذراعه ويمده ، فلا ينعفر بالتواب ،  
فقد اذهبه طول الانسكاب ، وترى الارض ذات الاشجار ،  
وقد غطاها المطر اول دفعاته ، فليس يبدو منها الا رؤوس  
أشجارها ، فظهرت وقد علاها الزبل كروؤوس انفصلت عن

أعناقها ، وغطتها خمرها ، استمر هذا الغيث ساعة ، ثم اعتمدها  
وابل منهمر ، وسيل منحدر ، يعم نواحيها ، ويفصم أكنافها  
فالسحاب متشقق بالماء .

راح ذلك السحاب عشياً - وقد استدرته ريح الصبا ،  
ومراه بردها - راح يتكأنف ويتراكم ثم قصده ريح الجنوب  
وافدة من بحر الهند مثقلة بالقطار ، فاضافت إليه دفعة أخرى  
فاذا هو ينصب انصباباً حتى ضاق عن آذيه المضطرب وموجه  
المضطرب عرض هذه الجهات مع اتساع آفاقها ، وامتداد  
أكنافها .

وقال يصف حمار الوحش في قصيدة أخرى فشبه ناقته من  
فوقها رحله بالحمار الوحشي الفتي ، ثم انصرف عنها إليه ، فهو  
ممتلىء نشاطاً وعراماً لانه قارح ، او لانه طاوي الكشح ، او  
لانه قارح طاوي الكشح معا ، وهو قبالة عين ماء ، او فوق  
جبل متباعد الأنحاء ، انه هنا وهناك ، لانه لا يسكن ولا يهدأ  
فهو خائف متوجس ، حذر متربص ، لم ينل من الطعام في  
امسيته ما يسد جوعته ، او يمسك صلبه ، انه جامع أظلافه يهيل  
بها التراب ، كأنه يبحث عن مكنس او مسكن ، مثله اذ يهيل  
الثرى ويذريه كمثل الضباع تنبش التراب ساعة الظهيرة ، فاذا



هياً له مناماً هداً عزمه ، وفتر نشاطه ، ونام على خد ومنكب  
ابيضين ، وهو في ضجعته الهادئة كالاسير العتيد لا يبدي حركة  
ولا يحدث ضجيجاً .

قد اتخذ كناسه الى شجرة تجمع حولها الرمل ، فكأنها اذا  
بللتها دفعة من المطر ، او نذتها مزنة من سحاب ، بيت رجل  
أعرس ، فهو هاديء ساكن ، ولكنه اذ ينفجر العجز ، ويتنفس  
الصبح تصبحة كلاب مغزاة على الصيد كأنها في ضرواتها ودربتها  
كلاب « ابن مر او كلاب ابن سنبس » .

وهي الى هذه الضراوة مغرثة بجاعة ، لتكون اشد فتكا  
واقوى عراما ، فعيونها لقسوة ذمرها وحرضها ، وسدة ثورانها  
وهياجها حمراء مشتعلة كأنها نوار عرس .

رأى الحمار هذا الكلاب يذمر كلابه ، فشد يخلف من  
ورائه سحابا من الغبار ، يكسو هذه الكلاب فكأنه - اذ  
يعلو الأصماد والآكام ، ويرتفع الى الربا والنجداد ، ويختلط  
الغبار المتطاير ببياضها ، فتغير لونها - جذوة من نار .

وكلما ايقن انه ان لاقى هذه الكلاب في وادي الرمث ،  
فان نفوسا ستهلك ، ودماء ستهرق ، قد تكون نفسه احداها  
وقد يكون دمه هو الدم المهراق سابق الريح ، وامعن في شدة

لا يبقني من عدوه على شيء .

ثم انه يتصور أنها ان ادركته فستأخذ بساقيه ووركيه  
فتمزقها تمزيقاً ، تمزيق الغلمان الأغرار الفين الراهب المطهر ذا  
التقوى والبركات آتياً من بيت المقدس ، فهم يتبركون به ،  
فيمزقون ثيابه التماساً للبركة ، وطلباً للمغفرة .

هذه الكلاب انحدرت الى ظل أشجار الغضا بعد ان يئسن  
من لحاقه ، وأيقن عدم القدرة على ادراكه ، وتركنه قوياً  
نشطاً لم يسه نصب او لغوب ، فهو كالفحل الهجان ، المنفرد  
في حظيره ، الشمس لا يقوى أحد على مواجهته .

ثم وصف حرباً ناشبة بين عقاب وذئب في ابيات بائيه يشك  
النقاد في نسبتها اليه الا ان خصائصها تنطبق على خصائص شعره  
فوصف فرسه بانها عند انهار الماء ، وانحدار الشد ، وانضمام  
الحصر ، ولحوب المتن كالعقاب ظهر لها في الارض القفر ذئب ،  
ثم تأكد رؤيتها اياه بعد أن تأملته من قمة لا يحجب الناظر منها  
حاجب ، ولكن بينها وبينه ربا ونجادا ، فلم تحش قطعها ، بل  
اقبلت نحوه منقضة ، تكسر في انقضاضها اليه جناحيها ليستد  
طيرانها ، يضاعف هويها في ذلك الجو أنها تنقض منحدرة ،  
اندفعت اليه من مكان بعيد ، وهوت عليه من مراقب سحيق



لتنزل عليه سخطها ، وتنشب فيه مخالبها ، فما اشقاء ! ان الشقاء  
ليفد عليه من حيث يدري ولا يدري ، وحقا : « ان الشقاء  
على الاشقين مصبوب » او « ان الشقي بالشقاء مولع » .

هوت عليه قوية دافقة ، وانصبت نحوه عازمة عارمة ،  
كأنها الدلو المثقلة بالماء قد انبتت عراها ، وخانها ذمها وتكريبها  
فسقطت كجلمود الصخر ، ليس كهذه التي تهوي من الجو  
تطلب صيدا في قوتها وعرامها طالب ، ولا كذلك الذي  
يرخي فوق الارض خوف ذلك الطالب مطلوب .

ما اشبه الطالب والمطلوب بالبرق والريح ، فالريح يعصف  
من ورائه البرق يلعب ، فمنظراهما عجيب ومرآتهما غريبة ، اذ  
كلاهما يصر على الاجتهاد دون تقصير فيه ، ويعزم على امر لا  
يحيد عنه ، هي تعزم على الفتك ، وهو يصر على الخلاص منها ،  
فما في عزميهما تغيب .

ولكنها انفذت اصرارها ، وادركت ما عزمت عليه ،  
فقالته مخالبها ، وانشبت فيه أظافيرها ، ولكنه استطاع أن  
ينسل من تحتها ، وان يتخلص من برائنها ، وقد نقب جنبه ،  
وثقب دفه ، واخذ يلجأ الى الصخور يحتبىء تحتها ليحتمي بها  
منها ، وكان الصراع قد ثبط من همتيهما ، والنضال قد اوهى

من قوتيهما ، فانتقل الهجوم والدفاع ، والكر والفر فوق ذلك  
الصخر الذي لجأ اليه ، ولاذ به ، فلبجاً الى غير الصخر ؟ فاستعان  
بمقن الارض يشير غباره ويهيج غفره ليحجب بذلك التراب عن  
العقاب شخصه ، فترب لسانه وشذقيه ، دون أن تخطئه المنايا ،  
او يغلط الموت في معرفة مكانه ، لم يخطيء الموت قيد أنملة ،  
ولا نفعه التحرز والتحصن وهي كارة عليه ، مندفعة اليه ، فهو  
يظل يومه مخفياً في الاحجار ، مختبئاً بين الصخور ، متوقفاً الليل  
المحبوب ليحميه من ذلك العدو الجبار .

وقال يصف الحرب وسوء عواقبها : « الحرب في اول  
امرها شابة فتية ، فيها حسن وخلافة وفتنة ، لانها تومي بالظفر  
والنصر وطيب الاحدوثة حتى اذا وقع الناس في لهيبها وحمي  
وطيسها واشتعل ضرامها ظهرت على حقيقتها عجزواً نكراء  
لا تبقى على خليل ، ولا تحتفظ بخليل ، وكيف ذاك ؛ وهي  
تتخذ منهم غذاءها ، فدماءهم شرابها ، ولحومهم طعامها ، انها  
تبدو شطاء شوهاء ، قبيحة المنظر ، دميعة المرأى ، قد جزت  
شعرها فزادها ذلك نكرا ، وتدنكرت لمن كانت تزعمهم اصدقاءها  
فعادت مكروهة للثم والتقييل .



## نقد النصوص

اجمع النقاد على ان هذه القصيدة اروع ما قال الجاهليون  
كما عدوا مطلعها اروع مطلع الشعر العربي ، قالوا عن امرئ  
القيس : « انه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر  
الحبيب والمنزل في شطر واحد في مطلع معلقته ، وهذا ما  
يعجز جميع افحول الشعر ، وقد حدد الشاعر دار الحبوبة تحديداً  
جغرافياً دقيقاً ، لأن قلبه معلق بها ، فكيف ينسى دارها ؟  
ثم صور آرامها وبعرها تصويراً صادقاً لا مبالغة فيه ولا  
غموض ، كما صور ساعة الرحيل اذ وقف لدى شجرات الطلح  
يسفح الدمع تصويراً جميلاً .

ثم انتقل من وصف الاطلال الى وصف الليل فكان اقدر  
من وصف الليل ، وهذه الأبيات اروع ما قاله في وصفه ،  
ومبعث روعتها تصويره الليل في نكره ووحشته ، وهوله  
ورهبته ، بامواج البحر تطوي ما يصادفها ، وكذلك مناجاته  
الليل مناجاة تنم عن الصبر مع اليأس ، وهذه قدرة لم نلمسها الا  
عند امرئ القيس « وما الاصبح منك بامثل » وتصويره  
الليل بالجميل يتمطى بصلبه ، ويردف باعجازه ، وينوء بكل كلكله  
تصوير جميل لتشبيهه المعنوى بالحسي ، وتصوره النجوم قد ثبتت

في السماء لا تريم عن مكانها بانها مشدودة بامراس تصور مستمد  
من البيئة ، أخاذ ببراعته في التصور والتصوير .

وقد عاب النقاد القدماء على الشاعر التضمين ، بتعليق معنى  
البيت الثاني بالبيت الثالث ، ولا نرى في ذلك عيباً ، وانما العيب  
ان نتكلف جمع معنى في بيت لا يتحمله .

وان من ينعم النظر في وصفه للفرس يجد اروع ضروب  
الوصف وافتن الوان الجمال ، ترخر الفاظها بمعان لا نبـالغ اذا  
جزمنا انها اوسع مما تعارف عليه اللغويون ، وتصور معانيها  
صوراً يعجز عن الاتيان بها امهر المصورون ، وانها لترسل  
وميضاً تشعر به ولا تصوره ، فهي مفعمة بالصور الكاملة ،  
زاخرة بالحياة النابضة ، فكأنك حيالها في ميدان او في حلبة  
فرسان .

اي حياة نابضة اوضح من حركة الكر والفر ، والاقبال  
والادبار ؟ وقد اتت كلها في شطر واحد ، ان هذه لا تصدر  
عن جواد في لحظة ، ولكنها تلمح في حلبة ، واننا لنتخيل  
الصخرة العظيمة تسقط من شاهق ، فتتملىء القلوب من سقوطها  
هلعا ، وقد نتصورها ، ولكننا نعجز عن تصور اثرها فيمن  
تسقط عليه ، إلا اننا نستشعره اذ نسمع : « كجلمود صخر حطه



السيل من علي » .

واي حياة خافقه نابضة اقوى من حياة تأخذ بجميع حواسك  
فترى منها وتسمع ، ولكنك لا تكتفي بالسمع والبصر ، بل  
تطالبك باللمس وبغير اللمس ، هذه الحياة تبدو في قوله :  
على الذبل جياش كأن اهنزاه

اذا جاش فيه حميه على مرجل  
وان الالفاظ مع قوتها لا تغنيك شيئاً كثيراً في تصور  
« اهنزاه » ولا في تصوير « على مرجل » وتخيّل حيواناً  
يتألف من جملة اجزاء لعدة حيوانات ، حيوان له خصر كخصر  
الظبي ، وساق كساق النعامة وسير كسير الذئب ، وتقريب  
كتقريب التنقل ، اليس ذلك الحيوان نوع فريد بين سائر انواع  
الحيوان ؟

وانك لتتخيّل الغلام الغر بالفروسية يعتلي صهوته ؛ بل صهواته  
وفرّق بعيد بين اللفظين وان اديا معنى واحداً ، فان هذا الجمع  
يشعر بالفخامة والضخامة ، والحول والهول ؛ حتى ليكاد الغلام  
يزول دون ركوب ، لانه لن يثبت على ذلك الفرس الجبار  
ذي الصهوات ، لن يثبت عليه لا لموحه فهو عتيق اصيل ،  
ولكن لاندفاعه فهو القوي الشديد ، وتتصور صورة ذلك

الفرس العنيف العنيد تتطير اثوابه ، فلا يستطيع جمعها ، فهو مشغول بجسمه عن ثوبه ، وتتصور اثوابه تتطير في جميع الجهات ، فكأنها جناحان لطائر جارح .

وتتخيل خسارة طفل قد أحكم قتل خيطها ، واجاد اللعب ، انك لا تستطيع أن تتبين الحذروف لسرعة دورانه ، ولتتابع حركة الصبي به .

واستطاع شاعرنا - دون تكلف - أن يفصم قصائد بالصور المتكاملة الظلال ، فلنعد هذا النوع لنقف وقفة قصيرة عند نوع آخر تظهر فيه عبقريته .

الدقة في التعبير سمة امرىء القيس الظاهرة وآيته الواضحة ، فتأمل هذا البيت :

كميت يزل اللبد عن حال متنه

كما زلت الصفواء بالانزل

فحال متنه وسط ظهره ، وهنا تبدو الدقة ، فقد يزل اللبد لأنه لا يتوسط الظهر ، ولكنه وقد توسطه لا يزل الاملامة ظهره ، واكتناز لجمه ، ومثل

مسح اذا ما السابحات على الونى

أثرن الغبار بالكديد المركل



فقد يشور الغبار اذا كانت الارض رملية او متربة او سهلة  
وليس في ثوراته حينئذ ما يدل على الونى او الكلال ، وانما  
الذي يدل عليها هو اثاره الغبار من الكديد ومثل :  
ضليع اذا استدبرته سد فرجه

بضاف فويق الارض ليس بأعزل

قد يكون الذيل ضافيا سابغا ولكنه معيب ، لان صاحبه  
يتعثر فيه لطوله في عدوه ، ولذلك احتس من هذا المعنى بقوله  
« فويق » دون فوق لتفيد قربه من الارض دون ضفوه عليها .  
وتستطيع متابعة التأمل لتحكم بأن الدقة يراعيها كل المراعاة  
ذلك الشاعر الذي حكم له بأنه استنبط للشعراء معاني ، وفتح  
لهم في الشعر منابع وعيون .

وليس عجباً على امرئ القيس ان ينال زعامة الشعر وان  
تكون اقوى أسباب زعامته وصف فرسه ، فقد صاحبه من  
مهده الى لحده ، وبين الصاحبين مجاوبة هي أقوى عوامل  
الاجادة والاحسان ،

وقد وصف امرؤ القيس السحاب والبرق والغيث . وقد  
تحدث القدماء عن مواطن الجمال في هذا الوصف فقالوا : « ان  
هذا اشعر ما جاء في وصف الغيث » . وسأل أبو عمرو بن

العلاء ذا الرمة ؛ اي الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟ فقال  
امرؤ القيس وأنشد الأبيات .

ولكنهم تركوا حكمهم دون تعليل شأنهم في جميع نقدهم  
وأما مواطن الجمال التي اجملوها فهي تلك الصور المتعاقبة ،  
فالديمة مسترخية الذوائب ، والأوتاد عارية حينا ، ومغطاة حينا  
والصنب سابع حاذق يثنى برثنه ويبسطه شأنه في ذلك شأن  
السباح الماهر ، اذ يبسط ذراعيه ويثنيهما ، والارض الشجراء  
غطيت ، فليس يبدو منها غير رؤوس اغصانها يغطيها الزبد  
الايص ، كانه الخمر ، وهي صور فيها الكثير من مظاهر  
البادية ، فيها وتد الحباء ، والصنب ، والبرثن والخمر .

وصف امرؤ القيس حمار الوحش ، واننا نجد بين معانيه  
وبين معاني سويد بن ابي كاهل تشابهاً كثيراً وليس  
كبيراً على سويد أن يقبس من امرئ القيس فاننا لا نكاد  
نجد شاعراً لم يكن عالة على امرئ القيس في معانيه ، فاذا قال  
امرؤ القيس :

وأيقن ان لاقينه أن يومه

بذي الرمث ان ماوته يوم انفس

الفينا سويد يقول .



دانيات ما تلبسن به

واثقات بدماء ان رجع

ومع ان متطلبات الاخذ أن يزيد الآخذ عن أخذ عنه في  
المعنى او في الاسلوب ، فان هذا الواجب لم يؤده سويدفبيت  
امرى القيس ادق في المعنى ، فقد حدد المكان الذي يكون فيه  
التحادث ، وهو اجمل في الاسلوب ، واذا قال امرؤ القيس :  
فبات على خد احم ومنكب

ومنجمته مثل الاسير المكردس

حاول سويد أن يتابعه ، فقال دون ان يبلغ تصوير امرى  
القيس :

كف خداه على ديباجة

وعلى المتنين لون قد سطع

فبيت امرى القيس فيه وصف وفيه صورة :

الوصف في الشطر الاول والصورة في الشطر الاخير ، اما  
بيت سويد فليس فيه غير الوصف .

وقد وصف امرؤ القيس الكلاب ، وهي عماد الصورة ،  
ولكن سويدا مر عليها عدوا ؛ كانه خشى ان تريث ليصفها ان  
تلحقه ، « وادر كنهه يأخذن بالساق والنسا » او يشبرقنه « كما

شبرق الولدان ثوب المقدس » وتصوير امرئ القيس الهدوء  
والسكون بأنه كهدهء الرجل المعرس يرسل لنا شعاعا عما كانت  
عليه بيوت المعرسين بعد أن ينفض السامرون .

وقال في وصف حرب ناشبة بين عقاب وذئب قال : وقفت  
العقاب على ارم فرأت الذئب وكان بينهما قمم الجبال والربا  
والنجد ، فهرولت اليه تهوي « يحشها من هوى اللوح تصويب »  
وهي اول الصور التي رسمها امرؤ القيس في هذه الابيات .

انقضت عليه كما تسقط الدلو المفعمة بالماء فقد انبتت عراها  
وخانها وذمها وتكريبها ، وهذه صورة أخرى ، واجمل من  
هاتين الصورتين تشبيها بالبرق والريح ، وحقا ان مرآتهما عجب  
وبلوغ هذه الصورة وتكوينها في كلمتين أغرب واعجب ،  
ووصف المعركة ، وان العقاب قد انشبت في الذئب مخالبها  
وانه ينسل من تحتها منقوب الجنب لاثدا بالصخر ، وصف بلغ  
القمة في تصوير الحقيقة ، وصدق الوصف .

انك لتجد في هذه الابيات صوراً خلاصة متسقة ، وحياة  
دفاقة ، واي صورة تطفح بالحياة اوضح من هذه :  
فادر كته ، فنالته مخالبها

فانسل من تحتها ، والدف مثقوب



يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت

منها ومنه على الصخر الشايب

ادر كته ، تصور عدوها وملاحقتها اياه ، فنالته مخالبها ،  
تصور قبضها عليه وانشاب مخالبها فيه ، فانسل من تحتها ،  
تصور محاولته الافلات من مخالبها حتى استطاعه ، والدف  
منقوب تصور الحال التي افلت عليها ، يلوذ بالصخر ، تصور  
اختباءه بين الصخور ، بعد فترهما ، وخمود تدافعهما .

اما جمال الاسلوب فيبدو في اكثر الابيات بل في جميعها ،  
فمن الجمال الفتان قوله :

صبت عليه ، ولم تنصب من امم

ان الشقاء على الاشقين مصبوب

يعجبك دون شك هذا الطباق السليبي ، كما يعجبك ذلك  
الاحتباس في قوله من امم . اما الحكمة فهي من اخلد الحكم  
« ان الشقاء على الاشقين مصبوب » واجمل ما فيها كلمة مصبوب  
لأنها تومي باندفاع الشقاء اليه ، وسقوط البلاء عليه ، ومن جمال  
الاسلوب قوله :

كالبرق والريح مرآتاها عجب

ما في اجتهاد على الاصرار تغيب

وبعد فالابيات جميلة من جميع النواحي ، وكلما زدتها تأملا  
زدت شعوراً بجملها .

وكذلك وصف شاعرنا الحرب وسوء عواقبها بعد ان مارسها  
اعواماً وعرف حقيقتها ، فهي تغري وتغوي ؛ تغري بالنصر وتغوي  
بالظفر والغنيمة ، تبدو في زينة فاتنة ، وصورة ساحرة ،  
ولكنها ما تلبث ان تظهر على حقيقتها ؛ تنال من الغالب  
والمغلوب ، وتأخذ من الطالب والمطلوب ، فهي كالداهية  
العجوز توقع في الشباك بعد ان تنصب الاشراك .

والجميل في هذه الابيات أن امرئ القيس استمد صورته من  
المرأة شابة وعجوزاً ، والمرأة هي اول من اثار الشرور ،  
وحمل الاوزار ، وما أشبه قول امرئ القيس بقول سليمان  
عليه السلام : الشر حلوا اوله ، مر آخره .

انتهى



## اسئلہ

- س ۱ - محدث بايجاز عن امرىء القيس ونشأته .
- س ۲ - محدث عن آثاره وديوانه .
- س ۳ - قارن بين وصف الاطلال عند امرىء القيس وبينه عند النابغة .
- س ۴ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها الليل .
- س ۵ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها الفرس .
- س ۶ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها السمحاب والبرق والغيث .
- س ۷ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها الحمار الوحشي .
- س ۸ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها الحرب الناشئة بين عقاب وذئب .
- س ۹ - اشرح وحلل وانقد الابيات التي يصف فيها الحرب وسوء عواقبها .

# فهرست الكتاب

صفحة

- امرؤ القيس ، اجداده ، ملوك كندة ووائل . ٤  
امرؤ القيس ، حياته قبل مقتل ابيه . . . . ٨  
امرؤ القيس ، بعد مقتل ابيه . . . . ١١  
امرؤ القيس ، عند قيصر - فوز امرئ القيس . ١٩  
رجوع امرئ القيس - وفاته - اسطورة الحلة المسمومة ٢١  
دين امرئ القيس . . . . . ٢٢  
آثاره - الديوان - طبعاته وشرحه . . . . ٢٤  
الوصف في شعره - نصوص مختارة . . . . ٢٦  
١ - وصف الاطلال . . . . . ٢٦  
٢ - وصف الليل . . . . . ٢٧  
٣ - وصف الفرس . . . . . ٢٨  
٤ - وصف البرق . . . . . ٣١  
٥ - وصف السحاب والبرق والغيث . . . . ٣٢  
٦ - وصف الحمار الوحشي . . . . . ٣٤  
٧ - وصف حرب ناشبة بين عقاب وذئب . . ٣٧  
٨ - وصف الحرب وسوء عواقبها . . . . ٤٠  
تحليل النصوص . . . . . ٤١  
نقد النصوص . . . . . ٥٢



مطابع دار الهلال  
بيروت - شارع بشاره الخوري - بناية نفاع  
تلفون ٢٥٦٨٧

المؤلف للهيئة  
الجامعة الديرية  
بيروت  
طبعة الأولى

# ٣ النفايس

سلسلة أدبية تبحث في الشعر والنثر  
تتلمذ الطالب والباحث والمدرس

## مراحل النشر القديم

الجزء الاول

بقلم

طه محمد القاضي

( ليسانس في الادب العربي )

مفرد الطبع محفوظة

بيروت - أيار ١٩٥٥

الطبعة الاولى



## كلمة لا بد منها

قدمت هذه الرسالة الى معهد الآداب الشرقية بجامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين في بيروت لنيل درجة ( اليسانس ) في الآداب العربية في ٣١ آذار عام ١٩٥٤ م .

وقد نالت موافقة مجلس الجامعة بعد أن اجتزنا الامتحان التحريري في ١٤ حزيران ١٩٥٤ م . والامتحان الشفهي في ٢٢ حزيران ١٩٥٤ م . وها نحن ننشرها في أجزاء جعلناها في عداد سلسلة النقائس بعد أن اضعنا إلى الباب الاول والفصل الاول من الباب الثاني معلومات رأيناها ضرورية .

وبعد مطالعنا للرسالة للمرة الثالثة رأينا ان نضيف لكل من الباب الاول والثاني فصلا كي تتم الفائدة المرجوة .

المؤلف

بيروت في ١٠ أيار ١٩٥٥

## المصادر والمراجع

- ١ - القرآن ..
- ٢ - طبقات الشعراء ، محمد بن سلام ، طبعة Hell .
- ٣ - في الشعر الجاهلي ، طه حسين ، مصر ، ١٩٢٦ م .
- ٤ - الأغاني طبع دار الكتب ، لابي فرج الاصفهاني .
- ٥ - فتوح البلدان ، للبلاذري ، طبع اوروبا .
- ٦ - عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، طبع دار الكتب .
- ٧ - مجمع الامثال ، للميداني ، طبع المطبعة الخيرية .
- ٨ - الوزراء والكتاب للجهشياري ، طبع الحلبي .
- ٩ - Nicholson , Aliterary History of the Arabs — 9
- ١٠ - الشعر والشعراء لأبن قتيبة ، طبع ليدن .
- ١١ - الأغاني ، طبع السامي .
- ١٢ - المفضليات ، طبع لاتيل .
- ١٣ - الحيوان ، للجاحظ ، طبع الحلبي .



١٤ - السيرة النبوية ، لابن هشام ، طبع الحلبي .

١٥ - الطبري ، طبع ليدن .

١٦ - اصل الخط العربي ، للدكتور خليل نامي .

١٧ - جمهرة الامثال ، للعسكري على هامش مجمع الامثال

طبع المطبعة الخيرية .

١٨ - الجمهرة ، لابن دريد ، طبع الهند .

١٩ - الزهر ، للسيوطي ، طبع الحلبي .

٢٠ - البيان والتبيين ، للجاحظ ، الطبعة الأولى ، نشر

السندوبي .

٢١ - خزانة الأدب ، للبغدادي ، طبع بولاق .

٢٢ - حاتم السجستاني - طبع مطبعة السعادة .

٢٣ - حياة الحيوان ، للدميري ، طبع المطبعة الخيرية .

٢٤ - شرح ابن ابي الحديد على نهج البلاغة .

٢٥ - الكامل ، لابن الاثير ، طبع ليدن .

٢٦ - السيرة الحلبية ، طبع بولاق .

٢٧ - موطأ مالك ، طبع هجر بمصر .

٢٨ - صحيح مسلم ، طبع الآستانة .

٢٩ - اعجاز القرآن ، للباقلاني طبع مطبعة الاسلام .

- ٣٠ - نقد الشعر ، لقدامة ، طبع الجوائب .
- ٣١ - ديوان ابن أوس بن حجر ، طبع فينا .
- ٣٢ - تاريخ الطبري - القسم الأول .
- ٣٣ شرح التفاصيل لابي عبيدة ، طبعة بيفن .
- ٣٤ - الشعر الجاهلي في الروائع ، فؤاد افرام البستاني ،  
طبعة الثالثة بيروت ١٩٤٩ م .
- ٣٥ - تفسير الطبري والزحشري في سورة المدثر .
- ٣٦ - شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي طبع  
لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م .
- ٣٧ - راجع تطور الأساليب النثرية ، انيس الحوري  
المقدسي .
- ٣٨ - صبح الأعشى ، للقلقشندي .
- ٣٩ - وفيات الأعيان ، لابن خلكان .
- ٤٠ - دائرة المعارف البريطانية .
- ٤١ - صحيح البخاري .
- ٤٢ - زاد المسلم ، لابن مسلم .
- ٤٣ - رسائل البلغاء ، لمحمد كرد علي .



## أهداء الكتاب

الى من لقتني كلمة ، وخط لي عبارة ، وقرأ لي جملة ،  
وخطا معي خطوة ..

الى من علم اناملي كل فن ، واعداد اليها النور الذي سلب  
من عيني .

الى من مهد لي السبيل ، وأسدى الي كل جميل ، وكانت  
لي عوناً على تذليل الصعاب .

الى من اخرجني من الظلمات الى النور ، وكان لي سنداً ،  
ودليلاً في خوض معركة الحياة .

الى من اخذ بيدي الى الشاطئ الميمون ، وجعل النور  
الذي اختنق في عيني ، يتفجر في قلبي ولبي

الى كل فكر حر وروح وثاب طموح . وكل عنصر فعال  
في خدمة الانسانية المعذبة ، وانقاذها من براثن التعاسة والشقاء  
الى تلك المصابيح التي تملأ نفوس الناسمة بالاشعاع والنور ،  
وتخلق فيها قوة روحية ، وطاقة ثورية على كل باطل وفساد .

الى كل من تحرر من كل غاية شخصية ، ودعاية مغرضة ،  
وكان عدوّاً للانحلال والظلم والباطل ، ونصيراً للفضيلة والعدل  
والحق .

الى اصحاب الضمائر الحية وارباب الاصلاح الاجتماعي والى  
كل من يتمتع بديموقراطية صحيحة ، ومحارب الانظمة الطبقية  
الى الاساتذة الافاضل والادباء الاعلام ، الى من قال بحقهم  
امير الشعراء احمد شوقي :

قم للمعلم وفه التبجيلا

كاد المعلم ان يكون رسولا

الى هؤلاء جميعاً ، الى كل انسان ... اهدي هذا الكتاب .

المؤلف

بيروت في ١٠ أيار ١٩٥٥



# فاتحة الكتاب

كنا قد عقدنا النية على تتبع تاريخ النثر العربي في مختلف عصور آداب اللغة العربية ، لكننا عدلنا عن عزمنا هذا ، لأن مثل هذا البحث يتطلب دراسة واسعة واسعة تستغرق وقتاً طويلاً . وبعد ان توقفنا قليلاً عولنا على دراسة النثر في القرن الرابع الهجري ؛ لكننا توقفنا عن ذلك لما عثرنا على كتاب « النثر الفني في القرن الرابع » للمرحوم الدكتور زكي مبارك ، وكذلك وقفنا على كتاب « النثر الفني » للدكتور احمد زكي ، وعلى كتاب « تطور الاساليب النثرية » للاستاذ انيس الخوري المقدسي ، ولهذه الكتب كلها قيمة ادبية كبرى وقد سدت فجوة واسعة في المكتبة العربية .

وبعد كل هذه المحاولات رأينا ان نعالج في بحثنا مراحل النثر القديم التي تمتد من العصر الجاهلي حتى اواخر العصر الأموي . ونرجو ان نكون قد اسدينا خدمة يسيره باصدار هذا البحث

واننا لا ندعي العصمة فهي لله وحده ، والانسان معرض للخطأ ولولا الخطأ ما عرف الصواب ، ونأمل الا يبخل علينا حضرات الادباء والنقاد بأرائهم من نقد وتوجيه وارشاد . ولا يفوتنا بهذا المناسبة ان نخص بالشكر الجزيل بعض العناصر الطيبة التي قدمت لنا خدمات جلي معنوية ومادية اثناء تلقينا العلوم في الجامعة .

وبعد ، فقد تتبعنا في دراستنا لمراحل النثر القديم ، النثر في العصر الجاهلي تبعاً لحياة العرب البسيطة حيث لا تأنق ولا تعقيد ولا تحذلق فيما وصلنا من نثر تلك الحقبة من أمثال وسجع وخطابة ، وقد افردنا لكل نوع منها فصلاً خاصاً بعد أن اثبتنا صحة نسبة النثر الجاهلي ووقفنا على جذور قليلة للقصة فيه . ثم انتقلت الى دراسة النثر في صدر الاسلام وقد دار الزمان دورته وفتح صفحة مشرقة في تاريخ النثر العربي اذ اخرجهم من الظلمات الى النور ومن دائرة الشعوب القبلية الى دوائر الامم المتحضرة . وبعد ان تدارست القرآن والحديث والرسائل النبوية وجدت النثر يستمر اثناء العصر الاسلامي في الدائرة التي رسمها العصر الجاهلي من حيث نسجه وصوغه . وان اختلفت موضوعاته وتشعبت معانيه ، فقد اتسعت الخطابة اتساعاً شديداً



واخذ يظهر بجانبها نوع جديد من النثر ، لم يكن للعرب عهد به  
وهو الكتابة الفنية ، او ما يسميه بعض الباحثين بالنثر الفني ،  
وبعد ان تحررت بدقة نشأة هذا النوع ، أثبتت انه لم ينشأ  
بفضل العناصر التي تحدت من اصول اجنبية ، وانما نشأ بفضل  
العرب انفسهم .

وفي ظل نظمهم السياسية الجديدة . وليس معنى ذلك اني  
انكرت تأثير العناصر الأجنبية في هذا النوع ، بل لقد اخذت  
تشارك فيه بعد مرور الزمن ، ولكنها مشاركة اقتصرت على  
نموه وتطوره لا بوجوده ونشأته . وراح هذا النوع يسير مع  
الزمن آخذاً في التطور والارتقاء ابان العصر الاسلامي حتى  
تناوله عبد الحميد الكاتب فاعطاه صورته النهائية ، وهي صورة  
اندجبت في صورة المذهب القديم . وقد ذكرنا ان عبد الحميد  
كان يتصل بالثقافة الفارسية مباشرة ، اما الثقافة اليونانية فاتصل  
بها عن طريق استاذه سالم الذي كان يعرفها معرفة وثيقة .

وهنا ينتهي مدار بحثنا ، ولو اننا تتبعنا دراسة النثر في مطلع  
العصر العباسي لرأينا ان ابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ  
وامثالهم ممن كانوا يعنون بالكتابات الطويلة ، او بعبارة اخرى  
بالرسائل والكتب الأدبية ، وقد حافظت هذه الجماعة على اطار

النثر الذي تسلمته من عبد الحميد الكاتب ، فلم تخرج به الى  
مذهب جديد ، بل عاشت في اطار المذهب القديم ، على الرغم  
من البون الشاسع بين ثقافتها وثقافة اصحاب المذهب في العصور  
السابقة .

### المؤلف

بيروت في ١٠ أيار ١٩٥٥



## الباب الاول النثر في عهد الانشاد

### الفصل الاول صحة نسبة النثر الجاهلي

قال لي صاحبي وهو يحاورني ويتسم والبشر يطفح من وجهه  
والغبطة والحبور تغمران محياه :  
( أنا معجب اشد الاعجاب بالدكتور طه حسين وبمؤلفاته  
ولا سيما كتابه « في الادب الجاهلي » الذي ضمنه آراءه في هذا  
الأدب وظهرت شخصيته في هذا الكتاب جريئة صريحة وهو  
اول كتاب من نوعه تعرض الى الادب العربي القديم بالنقد  
والتحليل بلغة سهلة ميسورة وبأسلوب جديد لم يألفه النقاد  
والكتاب من قبل . والدكتور طه حسين في كتابه هذا يسير  
على قواعد العلم والمنطق ويشك في صدق الرواة ولا يؤمن  
بصحة الرواية وينفي معظم الادب الجاهلي من شعر ونثر نقياً  
قاطعاً فهل انت على وفاق مع الدكتور طه حسين وهل تعتقد

بصحة رأيه في هذا الادب ؟ أم انت على خصام مع الدكتور  
 طه حسين في هذا الموضوع ؟ ولا تعتقد بصحة رأيه في الادب  
 الجاهلي ؟ . فان كنت كذلك فاثبت لنا صحة نسبة النثر  
 الجاهلي وفابل الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان . وانا لا اطلب  
 اليك ان تتعرض الى رأي الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي  
 لانك ان فعلت ذلك خرجت عن الموضوع بل اطلب اليك ان  
 تتعرض الى رأيه في النثر الجاهلي لانه ( موضوع هذا الكتاب ) .  
 قلت لك يا صاحبي ان تعجب بمن تشاء من الادباء ولك  
 ان لا تعجب بمن تشاء من الادباء . لك ان تحب من تشاء من  
 الادباء ولك ان تكره منهم من تشاء . ولكن ليس لك ان  
 تفرض اعجابك بهذا الاديب على سواك من الناس وان تفرض  
 محبتك الى ذلك الاديب على غيرك من الناس وليس لك ان تحمل  
 الناس على كرهه من تكرهه من الادباء والكتاب فلك رأيك  
 وللناس آراءهم ولك ذوقك وللناس اذواقهم ولك اتجاهك في  
 الحياة ولغيرك اتجاهاتهم في الحياة . لا شك يا صاحبي ان  
 الدكتور طه حسين اديب مشهور والشهرة حظوظ ولا ريب  
 ان ذكره يملأ افواه الناشئة واشباه الناشئة في الشرق والغرب  
 واعل كثرة انتاجه التي لا تكلف القارئ شيئاً من الجهد والعناء



لقلة ما فيها من الأفكار المبتكرة ساعدت على ذبوع صيته في  
الناس وحلقت به في الآفاق وجعلت ذكره يجري على كل  
شفة ولسان . )

قال صاحبي .

( لقد تحاملت على الدكتور طه حسين ولعل في تحاملك  
عليه ما يسمى بالغيرة او الحسد وأرى ان تدع الآن الدكتور  
طه حسين وشأنه وان تدخل بنا في صلب الموضوع لتثبت  
لنا صحة نسبة النثر الجاهلي ان استطعت الى ذلك سبيلا او  
تنفي صحة نسبة هذا النثر ان كان ذلك في مقدورك ولك مطلق  
الحرية في ان تكون من انصار القديم او من انصار الجديد ) .  
قلت :

( انا لا اخشى يا صاحبي في قول الحق لومة لائم ولا مبرر  
لغيرتي من الدكتور طه حسين او حسده على ما يتمتع  
به من مكانة مرموقة بين الادباء وكيف يصح لي ان اطمع في ان  
اكون من مصاف الدكتور طه حسين واغار منه واتحامل عليه  
وانا لا ازال في الطريق الادبي وقد اجتاز هو آخرها وكيف  
يصح لي ذلك ولم اشق طريقي بعد في الحياة الادبية ولم اخرج  
الى حيز وجود الادباء . والدكتور طه حسين اديب يشار اليه

بالبنان وقد طارت شهرته وذاع صيته . وكيف يجوز لمن لا  
 يزال في المهد ان يطمع في منافسة من اشرف على اللحد .  
 ولأنتقل بك يا صاحبي الآن من هذا الجدل الى ما نحن  
 بصددہ لأثبت لك صحة نسبة النثر الجاهلي على الا تتهمني  
 بالرجعية والا تعتقد اني من انصار القديم والمحافظة على هذا  
 القديم . وأود ان تدرك أنني من انصار المذهب الجديد في  
 الادب والتجديد فيه . الا انه لا يمكننا إنكار الحقيقة وتناسي  
 الادب الجاهلي هذا الادب الذي حفظ لنا الرواة منه نتفاً ضئيلة  
 تنسب الى العرب في جاهليتهم من الرسائل والخطب وسجع  
 الكهان والمرافة والامثال التي كان يتناقلها الناس على الألسن  
 في عهد الانشاد من جيل الى جيل حتى أصبحت بمثابة الحكم في  
 تلك الايام لقربها من طبيعة القوم وعاداتهم ، الا ان النقد العلمي  
 الحديث يا صاحبي لا يطمئن الى صحة الرواية ولا يقبل ان  
 ينسب هذه النتف الى العصر الجاهلي لكثرة النحل في ذلك العصر  
 والعصور التي تلتہ ولأن خصائص ما ينسب الى العرب في  
 جاهليتهم من النثر تنطبق عليها خصائص النثر في صدر الاسلام  
 فلا بدعة اذاً اذا قلنا انها نتف قيلت في العهد الاسلامي  
 ونحلت الى العصر الجاهلي ، ولسنا بصدد البحث في اسباب النحل



ونحن اذ نقف هذا الموقف من النثر الجاهلي لم نأت  
بجديد ، فالشك قديم في الادب الجاهلي ، واول من  
ساورهم الشك في هذا الادب يا صاحبي محمد بن سلام الجمحي  
صاحب « طبقات الشعراء »<sup>(١)</sup> والخليل بن أحمد واضع أسس  
علم العروض العربي ، وتلميذه الاخفش ومن الحديثين المستشرق  
الانجليزي « مارغوليوث » الذي استغل أسباب الشك في الشعر  
الجاهلي في مقدمة طبقات الشعراء في بحث نشره في مجلة الاسيوية  
الانجليزية في غضون سنة ١٩٢٢ في كثير من الابحاز والتحفظ  
وقام بعده الدكتور طه حسين ونشر كتاباً أسماه « في الشعر  
الجاهلي » في غضون سنة ١٩٢٦ وقد استغل آراء من تقدموه  
في طرق هذا الباب من قدماء ومحدثين بشيء من التوسع  
والتعميم والشمول . ولم يقف شك الدكتور طه حسين في صحة  
نسبة الشعر الجاهلي فحسب بل تعداه الى الشك في شخصيات  
بعض شعراء ذلك العصر ولسنا نقف يا صاحبي من النثر الجاهلي  
موقف الدكتور طه حسين من الشعر الجاهلي او قل موقفه من الادب  
الجاهلي عامة . لكننا نرى في شكه شيئاً من الغلو والاسراف والتطرف  
وقد عرض الدكتور طه حسين هذه الاسباب ، ورتبها بما يلخص :

---

(١) راجع محمد بن سلام : طبقات الشعراء ( طبعة Hell ) ص ٣ - ١٥

- ١ - اللغة . لم تكن موحدة في القبائل المختلفة قبل الاسلام فلم يكن ممكناً أن تأتي هذه الكثرة من الشعر في لغة واحدة .
- ٢ - السياسة الحزبية . كانت تدفع الكثيرين من المنتمين الى الاحزاب المختلفة والقبائل المتناظرة الى وضع الشعر ونحله آباءهم وسلفاءهم ، ينسبون به اليهم الفخر والغلبة والتقدم .
- ٣ - الدين . كان يدفع المسلمين الى نحـل الشعر الجاهلي ليصوروا به انتظار القوم بعثة محمد ، كما كان ينتظر اليهود مجيء المسيح ، ولغير ذلك من المآرب السياسية في صدر الاسلام .  
ففيهج الانصار على القرشيين ، والقرشيون على الانصار متبادلين الهجاء ، متسابقين في وضع الشعر القديم يتنازعون بواسطته الفخر في الايام السابقة .
- ٤ - اتساع الفن القصصي . كان يهيب بالقصاصين الى نظم الشعر يضعونه على السنة . أبطالهم .
- ٥ - تنافس العناصر العربية والشعوبية . كان يؤدي الى الضرب كل منهم على وتر العصبية لاهله والفخر بسلفائه ، والتغني باجداد اجداده بشعر قديم .
- ٦ - منافسة الرواة والعلماء في حفظ الاشعار والحرص على تفسير ما اشكل من الالفاظ ، او على تخريج ما غمض من



ولم يأت الدكتور طه حسين بمجديد في كل هذه الاسباب  
الا التوسع في عرضها ، والتبسط في ايراد الامثلة عليها . ولم  
يكن الكتاب ليحدث تلك الضجة لولا امران :  
الاول : ان الدكتور يشمل بشكه كل الشعر الجاهلي  
تقريباً ، معلناً رأيه كنظرية جديدة في تاريخ الادب ، يبالغ  
فيها حتى ينفي وجود بعض الشعراء ، لا من جهة شعرهم فقط  
بل من جهة كيانهم البشري ، داعياً الى التخلي عن تأثير المحيط  
والملة ، والدين ، في الدرس الادبي .

الثاني : ان الدكتور ، وهو المسلم ، خريج الازهر ، يتظاهر  
بالثورة على التقليد الجاري منذ قرون . فينكر من جملة ما  
ينكر ، صحة نسبة الابيات التي استشهد بها ابن اسحق وابن  
هشام في سيرة النبي . ويمس في بحثه عن اسباب الانتحال ،  
صفة النبي المذكور من حيث انه كان منتظراً في البلاد العربية  
من عهد بعيد . على انه ، في هذه الناحية من شكوكه ،

يظل مديناً لابن سلام بشيء من الملاحظات الدقيقة<sup>(١)</sup> .  
والحقيقة أن الشك مفيد كأسلوب علمي للوصول الى الحقيقة  
شرط أن لا يغفل العالم عن ان الشك مرحلة انتقالية اما الى  
الاثبات واما الى النفي . وحيث لا يمكن الخروج منه الى احدى  
هاتين الحالتين فليس من الاسلوب العلمي الرصين في شيء . كما أنه  
قليل الفائدة في تطبيقه على عهد من « الادب الشفهي » لانكاد  
نعرف عن حياته « الادبية » شيئاً الا بواسطة هذا « الادب الذي  
نشك فيه ، دون ان يتمكن هذا الشك من نقلنا الى النفي او الى  
الاثبات . ولقد كان أدباء العصر الاموي ، والعباسي الاول ،  
اقرب منا مع تنبهم الى اسباب الانتحال جميعها او اكثرها الى  
التمييز بين الصحيح والزائف ، والاصيل والزائد ، من ذاك  
الشعر القديم او قل الادب القديم عامة .  
وليس يشكل على اهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع  
المولدون<sup>(٢)</sup> .

واما كتاب « في الشعر الجاهلي » الذي شك مؤلفه في  
صحة نسبة هذا الشعر فقد اضطر الدكتور طه حسين تحت

---

(١) راجع محمد سلام : الكتاب المذكور ص ٦١ .

(٢) محمد بن سلام : الكتاب المذكور ص ١٤



الضغط السياسي ، الى ان يحذف منه مقاطع بل فصولاً اعتبرت  
ماسة لبعض العقائد الدينية ، وان يغير فيه ويضيف اليه ،  
ويعيد مطبوعاً باسم « في الادب الجاهلي » بعد ظهور الأول  
بسنة<sup>(١)</sup> . ومن هنا شمل الدكتور بشكه كل الادب الجاهلي  
من شعر وخطابة وامثال وقصص وسجع الكهان . ولكنه لم  
يسلم ، هذه المرة ايضاً ، من النقد الشديد ، رصين حيناً ،  
وعاطفي احياناً .

ومهما يكن من امر فان ما يهمننا من تلك الآثار القديمة ،  
في محاولتنا استخراج صفتها الانشادية ، انما هو اسلوبها ، وسواء  
اظهر هذا الاسلوب في الاثر الاولي الاصيل ام في صورته  
المصنوعة ، دون شك - ان كانت مصنوعة - على مثال قديم  
وسنستنتج كل ذلك من دراستنا للآثار القديمة من خطب  
واسجاع وامثال في غير هذا الباب .

واذا شئت يا صاحبي الوقوف على تفاصيل هذه الحركة  
الادبية وما جرت به من احكام متناقضة تضطرب بين مولدات

---

(١) ظهر « في الشعر الجاهلي » سنة ١٩٢٦ ، في القاهرة ، مطبعة دار  
الكتب المصرية ، في ١٨٢ ص . صغيرة وظهر « في الادب الجاهلي » سنة  
١٩٢٧ في القاهرة مطبعة الاعتماد ، في ٢٧٦ ص . متوسطة .

التعصب العاطفي ، وبوادر الرغبة في خدمة العلم ، عليك ان  
تطالع ، اولاً كتابي الدكتور المذكورين ، ثم :  
قرار لجنة العلماء المرفوع لشيخ الجامع الأزهر في ٢٦  
شوال ١٣٤٤ .

مصطفى صادق الرافعي : تحت راية القرآن ، المعركة بين  
القديم والجديد ، القاهرة ١٩٢٦ .

محمد فريد وجدي : نقد كتاب « في الشعر الجاهلي » القاهرة  
٥ أكتوبر ١٩٢٦ .

محمد مصطفى جمعه : الشهاب الراسد ، القاهرة ، ١٩٢٦ .  
محمد خضر حسين التونسي : نقد كتاب في الشعر الجاهلي ،  
القاهرة ١٣٤٥ .

محمد احمد الغمراوي : النقد التحليلي لكتاب « في الادب  
الجاهلي » القاهرة ١٩٢٩ - وهو افضل ما ظهر في الموضوع .  
ثم فؤاد افرام البستاني : حول الأدب الجاهلي في « المشرق »  
( ٢٧ ) ( ١٩٢٩ ) ( ٤٣٤ - ٤٤٣ ) .

واذا كان النقاد قد وقفوا من الشعر الجاهلي موقف الشاك  
المتسائل وهو يتقيد بالوزن والقافية فما بالك في النثر العادي  
المطلق الذي يخلو خلوّاً كاملاً من الأوزان والقوافي ولا



يمكن ان يحفظ الا عن طريق الكتابة .

ويمكننا القول يا صاحبي ان الشعر لم يضع لانه لغة  
العاطفة اما النثر فقد ضاع لشيوع الامية بين الناس ولأنه لغة  
العقل والكتابة ولسنا نزعم ان العرب لم يعرفوا الكتابة في ذلك  
العصر الذي يصح ان نسميه عصر الانشاد . ولكننا نرى انهم  
عرفوا الكتابة ولم يتخذوها اداة لتدويل انتاجهم الادبي وانما  
كانوا يدخرون ثروتهم الادبية في الحافظة ويتناقلونها بطرق  
الانشاد والخطابة في الاسواق الادبية كسوق عكاظ وذو المجاز  
وما شا كلهما ونحن لا نزعم يا صاحبي ان العرب في جاهليتهم لم  
يعرفوا النثر بل نقول انهم عرفوه لكنه ضاع لصعوبته على  
الحفاظ وعدم تدوينه وكيف يجوز لنا ان نتهم العرب في  
جاهليتهم بالجمود ونحن نعلم انهم اتصلوا بالعراق وفارس في  
رحلاتهم التجارية والقرآن يخبرنا عن رحلة الشتاء والصيف الى  
الشام واليمن ( لأيلاف قريش أيلافهم<sup>(١)</sup> رحلة الشتاء والصيف<sup>(٢)</sup>  
فليعبدوا رب هذا البيت<sup>(٣)</sup> الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من  
خوف<sup>(٤)</sup> )

---

(١) سورة قريش (٢) راجع آخر سورة الجمعة آية احدى عشر

(٣) راجع سورة النور آية سورة النور

وفي القرآن ايضاً اخبار كثيرة متفرقة عن احوال العرب التجارية والاقتصادية ولكي تكون على بينة مما نزعم يا صاحبي تعال واقرأ معي الآيات القرآنية التالية :

٢ ( واذا رأو تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً )

٣ ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وايقام

الصلوات وأيتاء الزكوة )

ففي هذه الاخبار وسواها مما يضيق المقام عن ايرادها هنا دلالة واضحة على ان الامة العربية لم تكن امة همجية وانما كانت امة راقية عرفت التجارة والاقتصاد ، وكل امة تعرف هذه الشؤون وتمارسها ، لا بد لها من معرفة الكتابة لعقد الاتفاقيات التجارية وتدوين المبيعات والمشتريات ، الا ان معرفة العرب للكتابة يا صاحبي لم تزد شيئاً في قيمة الانتاج الادبي ، فلا بدعة اذاً اذا وقفنا من النثر الجاهلي موقف المتروك المتسائل ورفضنا كل ما ينسب اليهم من نثر على الرغم مما ينسبه الرواة ، وخلاصة القول أن العرب في عهد الانشاد عبوعا كان يجول في خواطرهم من افكار وآراء عن طريق المخاطبة شعراً ونثراً ، لا عن طريق الكتابة التي لم تكن أداة من ادوات تدوين الآثار الادبية ، كما اسلفنا وهذا مما جعلهم يحفظون ما امكن حفظه



من انتاجهم الادبي عن ظهر قلب ، وراحوا يتناقضونه من عهد الى عهد ومن جيل الى جيل عن طريق الحفظ والرواية لا عن طريق التدوين والكتابة ، ومما يؤيد زعمنا يا صاحبي أن العرب في جاهليتهم عرفوا الكتابة ، اتخاذ الرسول كتاباً يكتبون سور القرآن ، فأنت لم تعرف هؤلاء الكتاب الكتابة في الايام التي سبقت ظهور النبي فمن علمهم الكتابة ؟ وهل علمهم اياها النبي ؟ وكيف يمكن ان يعلمهم النبي الكتابة وهو النبي الامي ؟ ويمكننا القول ان العرب عرفوا في جاهليتهم النثر المطلق الذي يرسل على السجية دون ما تكلف ولا عناء . وفي القرآن نص صريح على معرفة العرب للكتابة نرى ان نوره لك هنا :

١ - ( يا أيها الذين آمنوا اذا تدانتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب العدل ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق الآية )

٢ - ( وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مضمونه الآية ) .

اضف الى هذا قوله تعالى :

٣ - ( اقرأ بسم ربك الذي خلق <sup>١</sup> خلق الانسان من  
علق <sup>٢</sup> اقرأ وربك الاكرم <sup>٣</sup> الذي علم بالقلم علم الانسان  
ما لم يعلم ) .

اجل يا صاحبي لقد عرف العرب في جاهليتهم الكتابة وكانوا  
يؤرخون بعامي الفيل والفجار ، وظلوا كذلك حتى جاء عمر  
بن الخطاب وامرهم ان يؤرخوا بعام الهجرة . ومنذ ذلك الحين  
اصبحت الكتب والرسائل تؤرخ بهجرة الرسول ﷺ .

والحق ان العرب لم يتركوا في العصر الجاهلي اي مدونات  
ذات قيمة ادبية لا في التاريخ ولا في غيره ، ولا يعني ذلك ان  
الخط والكتابة لم يكونا معروفين عندهما ولا شائعين ، كما  
يذهب الى ذلك بعض الباحثين <sup>٤</sup> ، فانها - على ما يظهر -

---

(١) راجع سورة البقرة آية ٢٨٢ (٢) راجع سورة البقرة آية (٣)  
راجع سورة العلق .

(٤) انظر : Nicholsou , A Literary History of the arabs ,  
1930 P . 31



كانا شائعين الى حد ما ، وخاصة في البيئات المستحضرة ، اذ يروي صاحب الأغاني انه كان في الحيرة كتاب يتعلم فيه الصبية الكتابة<sup>١</sup> ، وقد جاء الاسلام وفي مكة سبعة عشر كاتباً<sup>٢</sup> وفي المدينة احد عشر<sup>٣</sup> . ويظهر ان معرفة الكتابة لم تختص بالبيئات المتحضرة فهناك نصوص مختلفة تدل على ان بعض اهل البادية كانوا يعرفونها<sup>٤</sup> ومن اشتهر بذلك اكثم بن صيفي<sup>٥</sup> حكيم تميم وخطيبها ، ومن يدري لعله هو الذي لقنها لابن اخيه حنظلة بن الربيع كاتب النبي ﷺ<sup>٦</sup> . ونذكر من الشعراء المتبدين الذين اشتهروا بالكتابة ومعرفتها في هذا العصر

---

(١) اغاني طبع دار الكتب ٢ / ١٠١

(٢) فتوح البلدان للبلاذري طبع اورباس ٤٧١ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٧٣ .

(٤) اطرو عيون الاخبار لابن قتيبة طبع دار الكتب ١ / ٤٢ .

(٥) مجمع الامثال للميداني طبع المطبعة الخيرية ٢ / ٧٢ .

(٦) الوزراء والكتاب للجهمياري طبع الحلبي ص ١٢ .

المرقش الاكبر<sup>١</sup> وهو من بكر ، وليد بن ربيعة<sup>٢</sup> وهو  
من بني عامر بن صعصعة . ولعل من الدليل على شيوع معرفة  
الكتابة بين البدو اننا نجد شعراءهم يصفون الاطلال كثيرا  
بنقوش الكتابة . يقول المرقش في قصيدة له معروفة<sup>٣</sup> :  
الدار قفر والرسوم كما

رقش في ظهر الاديم قلم  
ويقول لبيد في مطلع معلقته المشهورة :  
عفت الديار محلها فمقامها  
بني تأبد غولها فرجامها  
فمدافع الريان عرى رسمها

خلقا كما ضمن الوحي سلامها  
والوحي : الكتابة ، والسلام : الحجارة البيض التي كانوا  
يكتبون عليها ، وكانوا يكتبون ايضا في عشب النخل وفي  
الجلد والاديم الذي مر عند المرقش ، ويستمر لبيد في معلقته  
فيقول :

- 
- (١) الشعر والشعراء لابن قتيبة طبع ليدن ص ١٠٤ .  
(٢) اغاني طبع السامي ١٤ / ٩٠ .  
(٣) المفضليات طبعة لاتل ص ٤٨٥ .



وجلا السيول عن الطلول كأنها

زبر تجرد متونها أقلامها

والزبر : الكتب ، ويقول الاخنيس بن شهاب التغلبي<sup>(١)</sup> :

لابنة حطان بن عرف منازل

كما رقص العنوان في الرق كاتب

ويقول سلامة بن حنذل الفارس المعروف<sup>(٢)</sup> :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق

خلا عهده بين الصليب فمطرق

وقد ردد شعراء البادية هذه الصورة كثيراً في شعرهم<sup>(٣)</sup>

وهذا يؤيد ما نذهب اليه من أن الكتابة كانت معروفة بل

شائعة في العصر الجاهلي ، ولسنا نعني طبعاً بشيوع الكتابة في

تلك الايام كشيوعها في عصرنا هذا .

ولكن هذا الشيوع شيء وان العرب اتخذوها أداة لتدوين

آثارهم الادبية شيء آخر .

أجل لقد عرفوها حقاً ، ولكنها معرفة بسيطة ، فلم

---

(١) المفضليات ص ٤١٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٦٠ .

(٣) انظر المفضليات ص ٢٦٣ وكذلك ص ٥٥٩ وما بعدها .

يكتبوا بها كتباً ، ولا قصصاً ، ولا رسائل أدبية ، وإنما  
استخدموها في كتابة بعض اغراضهم التجارية والسياسية ،  
ولذلك لم يكن غريباً أن تشيع في مكة لأنها كانت  
مركزاً تجارياً عظيماً . ومحدثنا الجاحظ انهم كانوا يكتبون  
بعض عهودهم السياسية ، وكانوا يسمون تلك العهود المكتوبة  
« مهارق »<sup>١</sup> وقد ورد ذكر هذه المهارق في معلقة الحارث  
ابن حلزة مشيراً بها الى ما كتب من عهود بين بكر وتغلب  
اذ يقول :

واذكروا حلف ذي المجاز وما

قدم فيه ، العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل

ينقض ما في المهارق الا هواء

ومن هنا يحق لنا ان نحكم ان العرب استخدموا الكتابة في  
العصر الجاهلي لاغراض سياسية وتجارية ، ولكنهم لم يستخدموها  
في اغراض ادبية خالصة تجعلنا نزعم انه وجد عندهم لون من  
الكتابة الفنية . والحق ان الكتابة لم تكن حينئذ تؤدي بجانب

---

(١) الحيوان للجاحظ طبع الحلبي ١ - ٦٩



اغراضها السياسية والتجارية اغراضاً فنية من تجويد وتخيير ،  
اذ لم تكن اكثر من كتابات ساذجة ادت اغراضاً خاصة في  
عصرها ، وانتهت بانتهاء هذا الغرض

على انه ليس بين ايدينا وثائق نستطيع ان ندعي بها ان  
الجاهليين عرفوا الكتابة الفنية انما الذي نستطيع ان ندعيه لهم  
— عن طريق الوثائق الصحيحة — هو الامثال فقد اکتروا من  
ضربها ، وهناك كتب مستفيضة تتخصص ببحثها . والى جانب  
الامثال نجد لهم خطابة وخطباً كثيرة ، وقد اخذت الخطابة  
عندهم صورتين : صورة عامة في منافراتهم ومجامعهم ، وأسواقهم  
وحرورهم ، وصورة خاصة في سجع الكهان ، وما كان ينزلق  
على السنتهم اثناء تكهنهم .

وبما لا ريب فيه ان طائفة كبيرة من الامثال الجاهلية  
سالت لنا ، وساعد على ذلك تواترها على السنة الناس مما اتاح لها  
ان تحتفظ بصورتها ، ولم تحرف الامثال بل استمرت على  
صورتها التي ضربت عليها إلا ما عبثت به ايدي الرواة إبان  
عصر التدوين . واما الخطابة وسجع الكهان فقد ضاعت معظم  
نصوصها ، ولم تبق الا بعض قطع وبعض صيغ منشورة في  
ثنايا الكتب التاريخية .

اذاً ، عرف العرب النثر في جاهليتهم ، ولكن ما هذا النثر  
 الذي عرفوه ؟ وما هذا النثر الذي نتحدث عنه ؟ انه ذلك  
 الكلام الذي لم يوضع في اوزان وقواف ، وهو على ضربين :  
 أما الضرب الاول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب  
 وليست لهذا الضرب قيمة فنية الا ما يجري فيه احياناً من  
 امثال وحكمة . واما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه  
 اصحابه عن لغة التخاطب الى لغة فيها فن ومهارة وبيان  
 وهذا الضرب هو الذي يعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه  
 وبيان ما مر به من أحداث وأطوار ، وما يمتاز به في كل  
 طور من صفات وخصائص « وهو ينقسم الى قسمين كبيرين  
 هما : الخطابة والكتابة الفنية - وهي ما يدعوها بعض الباحثين  
 بالنثر الفني - وهي تشمل القصص المكتوب كما تشمل الرسائل  
 الادبية المجهزة ، وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة .  
 وان من ينعم النظر في ما وصلنا من نصوص العصر الجاهلي يجد  
 هذا الضرب من النثر يلعب دوراً مهماً في حياة العرب حينئذ ، وهو  
 دور لا يقل كثيراً عن دور الشعر ، اذ كان عرب الجاهلية  
 مشغوفين بالخطابة وضرب الامثال كما كانوا مشغوفين بالتاريخ  
 والقصص الخيالي - وغير الخيالي - عن شعرائهم وفرسانهم



وملأو كههم وكانوا يقصون ايضاً عن الفرس وابطالهم ، وورد في السيرة النبوية ان النضر بن الحارث كان يقص على قريش احاديث رستم واسفنديار<sup>١</sup> . ومعروف انهم كانوا يكثرون من القصص عن حروبهم واياهم في جاهليتهم ، وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني خير مرجع يفسر هذا القصص الجاهلي . على انه ينبغي ان لا نعلق اهمية تاريخية واسعة على هذا القصص فان الرواة حرفوا فيه كثيراً قبل ان يأخذ شكله النهائي عند ابي الفرج وغيره من مؤلفي العصر العباسي . وآية ذلك قصة الزباء التي رويت في الكتب العربية عن هشام بن محمد الكبي وما كان من موتها ، فانها قصة خيالية ، لا تتفق في شيء ووثائق التاريخ الروماني الصحيحة التي كتبت عن زنبيا .

واذا كنا لا نستطيع ان نعتمد على هذا القصص في حوادث التاريخ فأولى لنا أن لا نعتمد عليه في وصف صورة النثر الجاهلي وبيان خصائصه الفنية لانه لم يكتب في العصر الجاهلي ، ولا في عصر قريب منه ، وانما كتب في العصر العباسي ، وما كنا لنتخذ صياغة العباسيين مثالا لصياغة الجاهليين . ومن اجل

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام طبع الحلبي ١ / ٩٦ .

ذلك فاننا لا نستطيع أن نعتد من الوجهة الادبية — بما يروى عن هذا العصر — عناصر القصص والتاريخ ، لان الرواة حرفوا لفظه ، بل لقد حرفوا معناه على نحو ما حرفوا قصة الزباء ، ولو أن العرب كتبوا تاريخهم وقصصهم في العصر الجاهلي لا اعتدنا بهذا الجانب من نثرهم ، ولكنهم لم يكتبوا شيئاً ، اما ما يروى عن هشام بن محمد الكلبي من انه رأى في بيع الحيرة بعض مدونات استخراج منها — في زعمه ، اخبار العرب <sup>(١)</sup> ، فاننا لا نستطيع الاعتماد على روايته والاحتجاج بها ، لان ابن الكلبي متهم فيما يرويه <sup>(٢)</sup> ويكفي انه صاحب قصة الزباء الملققة . على أننا لا ندري هل ما شاهده ابن الكلبي في الحيرة كان مكتوباً بالنبطية ، او السريانية التي كانت معروفة في الحيرة قبل الاسلام <sup>(٣)</sup> وما دمنا بصدد درس النثر الجاهلي درساً دقيقاً فلا بد من تتبع هذه الفروع الثلاثة من الامثال والخطابة وسجع الكهان ، لنقف على ما فيها من صناعة فنية وبراعة ادبية ...

(١) نظر الطبري طبع ليدن : القسم الاول ص ٧٧٠

(٢) اغاني طبع الساسي ٩—١٩

(٣) انظر كتاب اصل الخط العربي للدكتور خايل نامي ص ٤



## الفصل الثاني

ايهما اسبق في الظهور الشعر ام النثر ؟ ..

قال لي صاحبي وهو يحاورني .. ( ايها اسبق في الظهور الشعر ام النثر ؟ ) .

قلت : ( ان الشعر يسبق النثر في الوجود سبق تحكم العاطفة في الانسان دون العقل . واذا ما قلت الشعر لا اقصد الشعر الكامل في جميع عناصره ، وانما اقصد المحاولات الاولى لقوله ، دون ان انظر الى نشأته وطريقة هذه النشأة فيما عدا انه مصور للعواطف ، معبر عن الاحساسات ، مثير للذة تقدير الجمال ) .

واذا كان قد ورد عن العرب غير هذا فلانهم عنوا بالنثر مخوّاً غير الذي نغنيه نحن الآن ، عنوا به نثر الحديث في شؤون الحياة الهينة التي لا يحتاج المتحدث فيها الى اعمال الفكر ، وامعان النظر ، اليس هذا هو ما يدل عليه قول قائلهم :

« وكان الكلام كله منشوراً ، فاحتاجت العرب الى الغناء بحكّارم اخلاقها ، وطيب اعراقها ، وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة ، وفرسانها الامجاد ، وممحاتها الاجواد ، لتَهز نفوسها

الى الكرم ، وتدل ابنائها على حسن الشيم ، فتوهما اعاريض ،  
فعلوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لانهم  
شعروا به »

ان في هذا التصوير وهما كثيراً ؛ اذ ظنوا علم الاوزان  
سابقاً لقول الشعر ، فانهم لم يقصدوا الى النثر الفني ، ونما قصدوا  
الى النثر الخطابي الذي يتناول مختلف شئون الحياة اليومية من  
بيع وشراء وطعام وشراب ، وصيد ورعى ، ونوم ويقظه ؛  
الى غير هذه الامور التي تقوم عليها الحياة الانسانية الساذجة .  
اما النثر الفني الذي يعبرون به عن رأي خطير ، او يرمون  
من ورائه الى امر عظيم ، او يعبرون به عن فكرة عميقة  
يعمدون الى تصويرها به ؛ لتقتنع بها العقول وتؤمن بها الافكار  
فهم يريدون فرض الرأي ، او الاقناع بالفكرة ، فلم يسعدوا  
بالوصول اليها .

وها نحن اولا نرى في ريفنا شعراء لا ينقص شعرهم خيال  
ولا تعوزه عاطفه ، ولا يحتاج الى حسن تصور ، وانما ينقصه  
اللفظ الصحيح ، ويعوزه الميزان السليم ، ويحتاج الى دقة التصوير  
وليس كل ذلك بسالب اياه معنى الشاعرية ، فعذره انه ينطق  
هذه اللغة ، ولو عرف غيرها لنطق بها ، وان موازينه وان لم



تكن سليمة فهي اقرب الى السلامة ، ودقة تصويره طريقها التأمل  
والتأنيق : وكم من الشعراء المطبوعين تنقصهم دقة التصوير .

والحق يا صاحبي ان الشعر بذرة النثر الجاهلي والنثر الفني  
الجاهلي الذي يثير اللذة ، ويبعث على الاعجاب نادر ، وهو في  
مقداره اذا قيس الى الشعر ليس شيئاً مذكورا ، واذا نظرنا  
اليه على اعتبار انه معبر عن العقل لم نجد له وجوداً واذا اغفلنا  
ناحية الوزن حق لنا ان نقول : ان الشعر هو البذرة الاولى  
لنثر ، لانه كله او جله خطب ، والخطب قوامها العاطفة ،  
على انها فيما نعتقد قليلة لا تكاد تذكر ، وما وصل اليها من النثر  
غير الخطب لا يعدو ان يكون حكماً متفرقة ، أو أمثالا  
منتشرة املتها مناسباتها ، وخلقتها اسبابها ، يعتورها من الشك  
في نسبتها الى قائلها ما يعتور الخطب والقصص .

واننا نتساءل اكان للمضربين نشر اراق ام لا ؟

بصدد الاجابة على هذا التساؤل يجدر بي ان اقول :

اني اخالف جمهرة من زعماء الادب يرون : « ان تاريخ  
الادب العربي يدل على ان قد كان للمضربين نشر ما ، بل يدل  
على انه قد كان للمضربين نشر ما ، بل يدل على انه قد كان  
لهم قبل الاسلام نشر وصل الى حد من الرقي لا بأس به » فأن

النثر يحتاج - اول ما يحتاج - الى الحضارة ومن مظاهرها  
 الكتابة وقل فيهم الكتاب ، او قل انعدم فيهم الكتاب ولم تكن  
 لهم حضارة تستأهل استخدام العقل في تصوير مظاهرها ، او  
 وصف آثارها ، وان تكن فقد كانت تصور شعراً لسهولة ،  
 وجمال نغمته ، واذا قلنا مع اولئك القائلين : ان العرب كان  
 لهم في الجاهلية نثر فنى ، فاننا سنفرض انه نثر عاطفي ، وهو  
 ما اتفق على تسميته في العصور الادبية المتأخرة بالشعر المنثور .  
 وما يؤيد رأينا نزول القرآن نثراً - واذا قيل لماذا انزل

القرآن نثراً ولم ينزل شعراً ليكون التحدي به اقوى ؟

قلنا : انه جاء نثراً ليكون التحدي اقوى واقوى ، فدرجة  
 النثر اقل من درجة الشعر عندهم ، فاذا جاء نثر اقوى من الشعر  
 كان ذلك برهاناً قوياً على انه ارقى من اي نثر آخر .

وحينما وصف العرب القرآن الكريم بأنه شعر ، ووصفوا  
 الرسول ﷺ بأنه شاعر كانوا على يقين بأن القرآن ليس شعراً ،  
 وبأن الرسول ليس شاعراً ، فليست للقرآن سمة واحدة من سمات  
 الشعر ليست له معانيه القائمة على الخيال المحض ، وليست له  
 اغراضه المتعارفة ، وليست له اوزانه المرسومة عندهم ، فالقرآن  
 لا يشارك الشعر في غير اللفظ ، وهي شركة محتملة في كل



كلام .

ولم يقل الرسول - وقد عاش بين ظهرائهم ، وعرفوا جميع أطوار حياته كل المعرفة - بيتاً من الشعر ، وان جاء بعض كلامه منظوماً كالذي روي عنه .

انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب

وانما ادعوا الدعوى لأنه ارقى من النثر الذي عرفوه .

ولهذا يرى بعض الادباء ان يعد من الشعر وان لا يعتبر من النثر ، ولكننا نرى خلاف ذلك ونعده من النثر .

اما فيما يتعلق في التوسع بمعنى الشعر اذا صح لنا ان نتوسع في معنى الشعر ولم نقيده بما قيده به العرب من انه الكلام الموزون المقفى ، وجعلناه الكلام المنبعث عن العاطفة ، والذي يقصد به صاحبه اثاره لذة السامع استطعنا ان نحكم بأنه اقدم من النثر دون ان يخالف في هذا الحكم من يزعم ان النثر اقدم ، لاننا سندخل في نطاق الشعر عندئذ الخطبة والقصة ، وهما تعتمدان على اثاره الشعور ، وتوافر الخيال ، على ان من العرب من وصف الشعر بأنه « تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا » . وصفوة القول في اسبقية الشعر للنثر ، بعد كل هذا البسط نستطيع ان نقول : ان الشعر اسبق من النثر بجميع

فنونہ ، اسبق من القصة والخطبة ، والحكمة والامثال والمقالة  
فقد اتخذہ الناس منذ ادراکهم لمعنی الحياة المعبر عما یکنون  
والناطق بما یحسون ، والمصور لما تجیش به قلوبہم من انفعالات  
وما تحتلج بہ افئدتہم من خواطر واحساسات ، فوجلوا بابہ ،  
واستخلصوا لبابہ ، فی حین احکم النثر الفنی دونہم رتاجہ ، وبالغ  
فی ایصاد مغالقة لان هذا — كما سبق — عماد العقل والتأمل  
ومعین الفہم والتفہم . وانی لأمة من بداءتہا وبداءتہا کل  
اولئک ؟ ان ابناءہا — ولا نستثنی — یتیمہون فی مجاہل مبن  
الجهالة ، ویسیحون فی صحاري من البداوة ، ولن یكون علم  
مکتسب مع جهالة مطبقة ، ولن یتفق فہم دقیق مع بداوة  
معرفة ، وهاہم اولاء بعض سکان المجاہل الافريقية من لم تغزہم  
الحضارة ، ولم تفتح عقولہم المدنية ، لہم اغانیہم المعبرة عن آمالہم  
واناشیدہم المصورة لاشجانہم ، وہی دون شک شعر بمعناہ الاعم  
الافصح ..

فلا علينا ان نقول بعد هذا العرض الواضح ، والبسط  
الضافي : ان الشعر ليس اسبق من النثر فيحسب ، بل هو اسبق  
منه بآماد بعيدة ، تستوي في هذا الحكم جميع الآداب العالمية .  
ولا يضيرنا في حکمنا ان يكون الشعر سطحي الخيال او



عميق ، ضيق الآفاق أو واسعها ، متعدد الأغراض أو محصورها ،  
ضعيف الأسلوب أو قويه ، مختلط التركيب أو منسقه ، مختل  
الوزن أو مستقيمه ، فكل تلك تتبلور مع الزمن ، وتستقيم  
مع الحياة ، فإن كل موجود في هذا الوجود تغوره اطوار  
الحياة المتعاقبة ، وتتداوله تقلبات الزمن وتغيراته ، كل موجود  
ينجم ثم يحبو ، ثم يدرج ... حتى يشارف الكمال ، ولا نقول  
حتى يصل الى قمة الكمال ، ثم تدول دولته ، وتخبو شعلته فيعود  
كما كان ..

واذا ما تحدثنا عن حال النشر الاولى وجب علينا ان نقول  
ليس امر النشر مغيراً لامر الشعر ، فلا بد انه كان في اول الامر  
سقيم الفكرة ، وان يكن وليدها ، قليل الجدوى ، وان  
يكن صادراً عن عقل وتدبر ، والناظر في النشر الجاهلي لا يستطيع  
ان يحكم دون ان يرمى بالهوى بأنه رفيع المكاتة خطير المنزلة  
من الناحية التفكيرية أو الاسلوبية أو الموضوعية ، مع ان ما  
وصل الينا - على فرض صحته - هو افضل ما قيل ، وابلغ ما  
ارتجل ، واحكم ما سجل ، والا لما حفظته الحواظ ، وتحدث  
بجماله الرواة واعتنى بتسجيله المؤدبون والشداة .

على اني اكاد أوقن ان هذا النشر الذي يروي بعضه شيوخ

الادب - كصاحب الاغاني وصاحب الامالي واضرابها - وهو منسوب الى بعض الجاهليين ، وفي بعضه قصص وجمال تصوير ، او حكمة وتأنق في التعبير - في وضع الرواة والمحدثين الذين رغبوا في ان يرفهوا عن الحلفاء ، أو ان يشيدوا بعقول القدماء وحسبنا هذا الذي قدمناه ..

وما من شك في ان للشعر على النثر الفضل الاكبر . وقد اتفق الادباء - الا القلة الضئيلة - على ان الشعر جملة افضل من النثر جملة ، ونحن ممن يرون هذا الرأي ، ونقيم الادلة على سداده وصوابه فنقول .

ان للقرآن الفضل الذي لا ينكر على الشعر - وان العرب طرا حينما بهرهم القرآن ، واخذتهم بلاغته زعموه شعراً ايماناً منهم بأن الشعر افضل من النثر ، وهذا الكلام الذي يحاجهم به الرسول ( صلعم ) ويتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله اجود من نثرهم ، واذن فما عليهم الا ان يدعوا انه شعر ، وان فقد مقوماته من خيال ووزن وقافية وموضوع واسلوب . وما من احد يستطيع ان ينكر فضل الشعر على الفنون الجميلة . والشعر احد الفنون الجميلة ، ولكنه منها واسطة عقدها وبدر فراقدها ، فإين منه النقش والتصوير ، والنحت والموسيقى ، ان فيه الى جانب نظمه ورصفه



صوراً تبهر مهرة المصورين ، وجمالاً يسحر نوابغ الرسامين ،  
والموسيقى لا تسمو الا به ، والغناء لا يحلو الا فيه .

انه يتألق بين الفنون فيفيض عليها حسناً ، ويمنحها وضأة  
ولألاً ، فأى فن جميل ليس للشعر فيه الأثر الرائع الجميل ؟  
ولا ريب في ان موضوعات الشعر اسمى من موضوعات النثر ،  
لأنها اعلق بالقلب واقرب الى النفس من موضوعات النثر ،  
بل من موضوعات الفنون الجميلة التي لا تعتمد عليه ، والنثر  
اذا تجاوز موضوعه ، وحل في غير افقه ، واعتدى على موضوعات  
الشعر عد متطفلاً ، وقيل عنه اعلاً لشأنه مع هذا التطفل : انه  
شعر منشور ، لانه يحمل موضوع الشعر واخيلته ، ويقتبس  
الفاظه وموسيقاه ، وإن لم تسم الى موسيقى الشعر .

ولا ملجأ في حجبنا الى ما ذكره ابن رشيق في كتاب  
العمدة من ان الشعر يفضل النثر لأسباب فنية ، وان كلام  
العرب نوعان : منظوم ومنثور ، ولكل منهما ثلاث طبقات :  
جيدة ومتوسطة وردیئة ، وانه اذا انفقت الطبقتان في القدر  
وتساوتا في القيمة ولم يكن لاحدهما فضل على الاخرى كان  
الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ، لأن كل منظوم احسن من كل  
منثور من جنسه ، فالدر وبه يشبه اللفظ اذا كان منشوراً لم

يؤمن عليه ، ولم ينتفع به في الباب الذي كسب له ، وانتخب  
من اجله ، وكذلك اللائظ اذا كان منشوراً تبدد في الاسماع ،  
فاذا اخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت اشتاته ، وازدوجت  
فرائده .

فمن ادبائنا من يصف هذا القول بانه كلام ضعيف ، وان  
يكن بيان ذلك الاديب اضعف من بيان ابن رشيق ، وليس  
هذا مجال تفصيل نقده .

واما أولئك الذين يقولون ان موضوعات النشر اخطر من  
موضوعات الشعر جد واهمين ، فالشعر يتناول الكون باجمعه ،  
وموضوعه كما قال غيرنا : الله والانسان والطبيعة ، فهو كل ما  
في هذا الوجود ، على انه يستطيع ان يتناول جميع موضوعات  
النشر ، بل هو الآن يتناول اعنف موضوعاته كالمباحث  
الفلسفية ، ويعتبر الشاعر الذي لا فلسفة في شعره شاعراً سطحياً  
لا : بل قد يبلغ به اذا فلسفة ما لا يبلغه بالنشر ، وهذه  
لزوميات ابي العلاء تجمع بين قوة العقل والمنطق ، وبين قوة  
التصوير وحسن الفن ، والشعر السياسي كان ولا يزال اقوى  
دعائم الدعاية السياسية ، ويكفى للدلالة على ذلك ان معاوية  
حين اراد ان يهد للبيعة لأبنه يزيد استعان لها بشعر مسكين



الدارمي ، ذلك الذي يقول فيه :

الا ليت شعري ما يقول ابن عامر

ومروان ام ماذا يقول سعيد ؟

بنى خلفاً الله مهـ لا فأتما

يبوءها الرحمن حيث يريد

إذا المنبر الغربي خلاه ربه

فأن أمير المؤمنين يزيد

وان بيت مروان بن ابي حفصه في الاحتجاج على العلويين

وهو :

انى يكون - وليس ذاك بكائن -

لبنى البنات وراثه الاعمام ؟

كان اشد على آل علي رضي الله عنه من ظبات السيوف ،

وأسنة الرماح ، بل كان هذا البيت دعامة من دعائم الدولة  
العباسية .

وانك لتجد الحكمة وحقها ان يكون النثر معينها مسجلة

شعراً ونشراً ، فتحكم لاول وهلة بأنها شعراً افضل منها نشراً ،

وها هو ذا المثال الذي نؤيد به رأينا .

ولعلي اوفي البحث حقه اذا ما طرحت بين يديك هذه

الموازنة بين شعر ونثر :

١ - قال عبد الله ابن الزبير حينما قتل عبد الملك بن مروان اخاه مصعباً من خطبة ينعي فيها اخاه ويؤبئنه ، وتكاد هذه الخطبة تكون اروع خطبه ، والخطبة اقرب من النشر الى الشعر :  
« إنما التجلد والسلوۃ لحزماً الرجال ، وان الهلع والجزع لربات الحجال » .

وتناول ابو تمام الطائي هذا المعنى في تعزيتة مالك بن طوق عن اخيه القاسم ، فقال .

٢٥ : خلقنا رجالاً للتجلد والاسى

وتلك الغواني للبكاء والمآثم

فكان البيت خيراً من الفقرة لاسباب كثيرة منها :

١ - لنظمه وجرسه الموسيقي ، وهذا فضل لا ينكره الا معاند مكابر ، ومن لا تطربه الموسيقى ، ولا يملك سمعيه الجرس والغناء .

٢ - لقلة كلماته عن كلمات النشر مع ان الشاعر مقيد بالوزن الذي قد يستدعي منه ان يزيد الفاظاً ، حتى يفى المعنى حقه ، وحتى لا يوصف شعره بالغموض والتقيد ، فلو وزن من الاحكام ما ليس للنشر ، فلهذا الحرية المطلقة ، ولذلك



٣ - لدقة المعنى ، فقد وصف الشاعر قومه ونفسه بأنهم خلقوا رجالا ، وفي الجملة قصر جميل مدحوظ ، فكأن اعداءهم ليست لهم هذه الصفة ، وفيها فخر نبيل واضح في حين ترك الخطيب هذا المعنى ؛ وقال ان التجلد والصبر والاسى المكتوم خليق بالرجال ، او خليق به الرجال ، فجمع بين الصفتين الجديرتين بخلق الرجال عند فداحة الخطب وجلال الرزء ، اما الخطيب فجمع بين التجلد والسلوة ، وما ادري كيف يسلو الاخ اخاه ، وبخاصة اذا كان هذا الاخ هو البطل العظيم ، والرجل الكامل مصعب بن الزبير ؟ والفرق عظيم بين الاسى والبكاء ، فالاسى للرجال ، والبكاء للنساء ، اما السلوة التي قرننها عبد الله بالتجلد فلا موقع لها هنا ، في حين ان المآثم وقد عطف على البكاء ادت المعنى اسدى اداء ، فالمآثم تقام للنساء يبين فيها ويندبن ، ليثرن الرجال للاخذ بالتأثر ولغسل العار وخص الشاعر الغواني بالبكاء ليدل على فداحة النازلة ، وشدة الكارثة ، ومن تبكيه الغواني خليق ان يبكيه غيرهن .

اما فقرة عبد الله فلا تشتمل على قليل من ذلك الكثير من المعنى ، كما ان الفقرة على الرغم من انها مسجوعة لم تتم نعمة

وجرسا وموسيقا ، وقول الخطيب ربات الحجال كناية دفعه  
اليها التكلف والسجع ، واجمل منها دون ريب الغواني ،  
والهلع والجزع معناهما واحد ، فلم يأت الخطيب بجديد سوى  
التطويل الذي لا يدعو اليه داع غير رصف الجملة ، واقامة  
السجعة .

٤ - وهناك فوق ما قدمنا فروق تحس بها وتدر كها دون  
ان تستطيع لها تعليلا ، ففي الاشارة الى الغواني بتلك جمال ،  
ولكن كيف نعلمه ؟ اتقول : انه اراد تعظيمهن بالاشارة  
البعيدة اليهن ؟ ولم لا ؟ السن غواني ؟ ام نقول : ان المآتم  
كانت منه قريبة بعيدة ؟ ام نقول : انه كان بين صفيين من  
الرجال والنساء ، فحدث الرجال بقوله : خلقنا رجالا : والتفت  
الى النساء فأشار اليهن قائلا : وتلك الغواني .. ؟

( ب )

وهذا مثل اختلف فيه النقاد ، فهناك من فضل النشر ،  
وهناك من فضل الشعر ، واننا من اصحاب الرأي الاخير ،  
وسنورد الرأي الاول ، ثم نرد عليه ونفنده ، وللقارىء الحكم  
بعدئذ .

قال عمر العتيبي : العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو



الأصل ، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع ، فاذا اجتمع  
قوى كل منها صاحبه تقوية النار في الظلمة للبصر .  
وقال احد الشعراء :

|                   |                  |
|-------------------|------------------|
| رأيت العقل عقليين | فمبطوع وم مصنوع  |
| ولا ينفع مصنوع    | اذا لم يك مطبوع  |
| كما لا تنفع الشمس | وضوء العين بمنوع |

زعم صاحب الرأي الاول ان الشاعر « كرر كلمتي مصنوع  
ومطبوع على غير داع ، وقد سلمت الاولى من ذلك التكرار  
وكلمة مصنوع في الشعر تقابل كلمة مكتسب في النشر ،  
ومكتسب اليق بموضعها ، وادق في الدلالة على ما يراد منها ،  
فالعتبي ادق عبارة واحكم تأليفاً واسلم من التكرار » ثم قال :  
« قسم كل منها العقل قسمين ، وفاضل بينهما ، ولكنها اختلفا  
في طريق المفاضلة ، فالاول ذكر ان القسمين يتعاونان اذا  
اجتمعا ، ومثل لهما بضوء النار يقوي البصر في الظلمة ، وذكر  
الآخر انها اذا افتراقا لم يغن المكتسب شيئاً ، ومثل بنور  
الشمس لمن لا يبصر ، فقد اختلفا في اجزاء المعنى ، والاول  
بين حالة اجتماع العقليين ، والآخر بين حالة افتراقهما ، والحالة التي  
ذكرها العتبي اقرب الى الواقع ، وآلف عند الناس ، فانهم

يبتغون دائماً تقوية العقل الموهوب بما يكتسب من مجارب  
ويستفاد من علم ، ولا يطمع احد ان يفيد غير العاقل بالتعلم  
شيئاً » فاذا ناقشنا هذا الرأي لنبين ضعفه قلنا :

١ - كان الشاعر اقدر من ناحية التأليف والصياغة من  
الكاتب ، فقد اوجز دون اخلال بالمعنى في حين اورد الاول في  
عبارته ما يمكن ان يسمى حشواً ، اذ يقول :

« عقل تفرد الله بصره » كأن هناك عقلاً اشترك فيه مع الله  
سواه ، هذا الى ان الفرع جزء من الاصل وليس قسماً له كما يقول :

٢ - عندي ان تكرار مصنوع ومطبوع فوق انه اكسب  
البيت جرساً جميلاً ، وموسيقاً عذبة ، ومطابقة مستساغة فيه  
معنى التوكيد ، واذن فليس من التكرار المعيب .

٣ - تشبيه الشاعر ادق واظهر في بيان فضل العقل المطبوع  
على المصنوع ، على ان الاول وقع في خطأ فكري ، فالنار لا  
تزيد قوة البصر ، وانما تخفف شدة الحلكة ، وتدفع اسراف الظلام

٤ - كلمة مصنوع افضل من مكتسب التي يطلبها صاحب  
الرأي الاول ، افضل ليطابقها كلمة مطبوع ، على انها من  
الفاظ الأدب والشعر ، فيقال شاعر مطبوع وشاعر مصنوع  
٥ - هذا الى ان الفاظ الشعر أقل من كلمات النثر ، والى



ان الموسيقى الشعر رنيناً يسمع الاذن رنين الجمال .

اما اسباب رجاحة الشعر للنثر : فهي ليس كل شعر خيراً  
من كل نثر . بل لا بد من اجتماع عدة عوامل مرجحة للشعر  
فوق الخيال والوزن ، فوجه الموازنة كثيرة متنوعة منها :  
الاسلوب ومطابقة الكلام للواقع ، وائتلاف الالفاظ واتساقها  
ومناسبتها للموضوع ، والاقلال من الزخارف بجميع انواعها ،  
فانها قد تحجب المعنى ، او تسيء الى الفكرة ، فالجمال في  
المفاضلة فسيح ، وعناصر الموازنة كثيرة .

ولا نغالي اذا ما قلنا ان بعض النثر يفضل بعض الشعر .  
ومن النثر الذي يفضل الشعر ، تلك الحكمة الجاهلية :  
« المرء باصغريه » واكتفى بهذا الجزء منها فهي افضل من  
قول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق الا صورة اللحم والدم  
اما اوجه التفضيل فكثيرة منها : الایجاز ، فالحكمة كلمتان  
والشطر الاول من البيت ، وهو في الحق موطن المفاضلة ،  
خمس كلمات والحكمة اكثر صدقاً ، لان المرء يظهر علمه  
وجهره ، وحلمه او حمقه باصغريه ، وان يكونا نصفيه ، ولتلك

الكتابة اللطيفة الدالة على علم باعضاء الانسان ، فأصغر الأعضاء  
القلب واللسان ولعدم التكرار كما نرى في الشطر اذكر كلمة  
« نصف » وكدقة كلمة المرء ، لانها اشمل من كلمة الفتى ،  
ولعدم الغلو في المبالغة التي زادها الشاعر بروزاً بشطره الأخير .  
والقول الفصل في هذا الموضوع ان الشعر يعتمد على لغة  
العاطفة والوجدان والخيال وان النثر يعتمد على لغة العقل ،  
فيصبح العقل حينئذ الهادي الى الانشاء والاختراع ، وعليه  
يعتمد النثر في تسجيل ما ينشئ ، في حين ينبعث الشعر كما  
قدمنا من نبعة بعيدة كل البعد عن هذه السبيل تلك النبعة هي  
العاطفة وهي الشعور .

ولذلك نجد الشعر الفلسفي والمعتمد على المنطق متأخراً في  
نشأته عن الشعر العاطفي ، لانه يتخذ العقل رائداً له ، ولا  
يعول على العقل ذلك التعويل الا الشعب المتمدين انظر الى  
الشعر الجاهلي تجده خالياً من المعاني الفلسفية ومن النظرات  
العميقة ، الا للقليل من الشعراء الذين نظروا في الكون ،  
وتأملوا في الوجود ، فجاءوا بمعان لا يقام لها وزن اذا قيست  
الى معاني شاعر عاش في حضارة ، هي احدى آثار العقول  
والافكار .



## الفصل الثالث

### قدم القصة في الادب العربي

قال لي صاحبي وهو يجاورني :

( أنا أكثر منك تذوقاً للأدب واسلم ذوقاً وأصوب رأياً  
وأصدق منك حكماً ) .

قلت :

( وما دليلك على هذا الادعاء وما برهانك على هذا القول  
الهرء ) .

قال :

( يبدو لي انك لا تستسيغ ادب الدكتور طه حسين عميد  
الآداب العربية في عصرنا هذا وتنكر على هذا الاديب ما عنده  
من عبقرية وشهرة لا تجارى على الرغم من طلاوة اسلوبه وجمال  
حديثه وروعة إنتاجه وكثرة بنات أفكاره المنتشرة في شتى  
مؤلفاته ) .

قلت :

( أنا لا انكر على الدكتور طه حسين يا صاحبي ما وهبه

الله من العبقرية والنبوغ وما ساعده عليه الحظ من الشهرة وذويع  
 الصيت حتى اصبح اديبنا اشهر من نار على علم ولكن الشهرة  
 في الشيء بعيدة عن البراعة فيه بعد الارض عن الشمس اي ان  
 الشهرة في فن من الفنون شيء والبراعة في هذا الفن شيء آخر  
 ولعل في ضرب بعض الامثال اقناع لك بصحة هذه النظرية  
 ولعلك تعلم أن ابا الطيب المتنبي كان اشهر شعراء العربية في  
 عصره ولم يكن أشعر أولئك الشعراء بل كان بينهم من هو  
 اشعر منه واقل شهرة منه واخص بالذكر منهم ابو فراس  
 الحمداني شاعر بني حمدان وشاعر الوجدان في ذلك العصر . وفي  
 عصرنا هذا تألق نجم احمد شوقي وذاع صيته وطبقت شهرته  
 الآفاق حتى لقب بأمر الشعراء واصبح أشهر شعراء عصره  
 ولم يكن اشعرهم . وكان الشاعر الوجداني حافظ ابراهيم أفيض  
 من صاحبه شوقي شاعرية وأصدق تصويراً وادق تعبيراً ومع  
 ذلك فلم يتح لحافظ ابراهيم ان يصيب من الحظ ما بلغه صاحبه  
 شوقي ولم يقدر لحافظ ابراهيم ان يبلغ من الشهرة ما بلغه  
 صاحبه شوقي وفي هذا اكبر دليل على ان الشهرة حظوظ وعلى  
 ان الفرق شاسع بين الشهرة في الشيء والبراعة فيه .  
 قال صاحبي :



( انك تتحامل على الدكتور طه حسين وتذمه وتقذح فيه بطريقة غير مباشرة . ورغم تحاملك على هذا الاديب فما زلت عند رأيي فيه وما زال اعجابي به لا يداينه اعجاب ومنذ زمن غير بعيد قرأت من كتبه « المعذبون في الارض » « الوعد الحق » « شجرة البؤس » « احلام شهرزاد » « الحب الضائع » « الايام » « وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية » فزاد اعجابي به واخذت بروعة حديثه وطلاوة أسلوبه ) .

قلت :

( لا شك يا صاحبي ان طه حسين اشهر كتاب العربية في عصرنا هذا وليس بارعهم وانت اذا تقصيت الحقيقة وحكمت العقل في الحكم على الادباء والكتّاب وجدت بين ادباءنا من هو ابرع من الدكتور طه حسين واكتب منه واكثر منه ابتكاراً ولا ريب في ان الدكتور طه حسين اديب مشهور وهو اشهر من ان يعرف وهو محدث لبق بارع عذب الالفاظ له أسلوب طلي جذاب كثير اللف والدوران يعطيك المعنى القليل في اللفظ الكثير )

قال صاحبي

( اراك لم تزد الا تحاملاً على هذا الاديب فلك ما ترى

وللناس في ما يعشقون ويكرهون مذاهب وارى ان نترك هذا  
الجدل البيزنطي وان تنتقل بنا الى الحديث عن قدم القصة في  
الادب العربي وان تثبت لنا وجود هذه القصة او على الاقل  
وجود جذور لهذه القصة في الادب الجاهلي)  
قلت :

( كان عبد الله ابن المقفع يا صاحبي اول من فتح باب  
القصص في الادب العربي في مطلع العصر العباسي الاول في  
كتابه « كليله ودمنه » بمعناه الفني الواسع الصحيح لكننا نرى  
ان ظهور القصة سبق ابن المقفع بظهوره في ظل الجاهلية على السنة  
الحيوان . وبين ايدينا قصة طريفة من تراث العصر الجاهلي .  
وتعطينا هذه القصة يا صاحبي صورة صادقة عن ذلك العصر ،  
ولم نعر في الادب الجاهلي في شعره ونثره اصدق منها  
في التعبير عن العقلية في تلك الايام والبيئة العربية  
وفي التمثيل على الأدب الجاهلي . وقد جاءت هذه القصة على  
السنة الحيوان واشخاصها ارنب وثعلب وضب ، فالارنب  
يتمثل لنا كائناً ضعيفاً هضم حقه ، ولا يقبل على نفسه هذا  
الظلم فطالب بحقه . واما الثعلب فيمثل لنا كائناً قوياً يظلم  
سواه ، ويبيح لنفسه هضم حقوق الآخرين ، ويقوم الضب بدور



القاضي الحكيم في الفصل بين المختصين . وارى ان اضع امامك  
هذه القصة الطريفة لتقف بنفسك على ما فيها من حوار جميل .  
الارنب والضب

زعموا فيها :

ان الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الشعب فأكلها فانطلقا  
الى الضب .

|                        |                            |
|------------------------|----------------------------|
| فقال سميعاً دعوت       | فقالت الارنب يا ابا الحصين |
| قال عادلاً حكمتها      | قالت اتينا لنختصم اليك     |
| قال في بيته يؤتى الحكم | قالت اخرج الينا            |
| قال حلوة فكلها         | قالت اني وجدت ثمرة         |
| قال لنفسه بغى الخير    | قالت فاختلسها الشعب        |
| قال بحقك أخذت          | قالت فلطمته                |
| قال حر انتصر           | قالت فلطمني                |
| قال قد قضيت            | قالت فاقضي بيننا           |
|                        | فذهبت اقواله مثلاً .       |

وكذلك سبق القرآن ابن المقفع في سرد القصص على السنة  
الطير والحيوان . كقوله تعالى .

( ١ ) حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا

( ١ ) راجع سورة النمل آية ١٨ - ٢٠

مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم  
ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي  
انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك  
في عبادك الصالحين ) .

( وتفقدا الطير فقال مالي لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين )  
ونحن لا ننكر على ابن المقفع يا صاحبي فضله على القصة  
العربية وانصافاً اليه نقول ان من طرخوا باب القصة لم يتعدوا  
الحدا الذي وصل اليه ، وربما قصروا عنه .

انتهى الجزء الاول



## السئلة

- ١ - اثبت او انفي صحة نسبة النثر الجاهلي ؟.
- ٢ - هل عرف العرب في جاهليتهم الكتابة ام لا ؟.
- ٣ - ايها اسبق في الظهور الشعر ام النثر ؟.
- ٤ - اصحيح ما يقال من ان الشعر بذرة النثر الجاهلي ؟.
- ٥ - اكان للمضريين نثراً راق ؟.
- ٦ - هل نزل القرآن شعراً ام نثراً ؟.
- ٧ - تحدث في التوسع في معنى الشعر ؟.
- ٨ - تحدث باسهاب عن سبق الشعر للنثر ؟.
- ٩ - تحدث باسهاب عن حال النثر الاولي ؟.
- ١٠ - تحدث ما امكن عن فضل الشعر على النثر ؟.
- ١١ - تحدث ما امكن عن فضل القرآن على الشعر ؟.
- ١٢ - تحدث بتوسع عن فضل الشعر على الفنون الجميلة ؟.

- ١٣ - تحدث عن سمو موضوعات الشعر؟  
١٤ - أيهما أكثر خطورة موضوع الشعر أم موضوع النثر؟  
١٥ - وازن بين النثر والشعر؟  
١٦ - تحدث عن رجاحة الشعر للنثر؟  
١٧ - على أي اللغات يعتمد الشعر؟  
١٨ - على أي اللغات يعتمد النثر؟



# فهرست الكتاب

صفحة

- ١ - كلمة لا بد منها ٢
- ٢ - المصادر والمراجع ٣
- ٣ - اهداء الكتاب ٦
- ٤ - فاتحة الكتاب ٨
- ٥ - الباب الاول : النشر في عهد الانشاد  
الفصل الاول
- ٦ - صحة نسبة النشر الجاهلي ١٢  
الفصل الثاني
- ٧ - ايها اسبق في الظهور الشعر ام النشر ٣٤  
الفصل الثالث
- ٨ - قدم القصة في الادب العربي ٥٢

انتظروا الجزء الثاني من سلسلة

## النفائس

تبحث في الشعر والنثر تهتم الطالب والباحث والمدرس



اطلبوا سلسلة النفائس من

شركة فرج الله للطباعة

ومن عموم المكتبات



# دَارُ الْمِثَالِ لِلطَّبَاعَةِ

شارع بشاره الخوري - بناية نفاع

تلفون المطبعة ٢٥٤٨٧







## النقائس

سلسلة أدبية تبحث في الشعر والنثر  
تتلمذ الطالب والباحث والمدرس

## مراحل النشر القديم

الجزء الثاني

بقلم

طه محمد القاضي

( ليسانس في الادب العربي )

حقوق الطبع محفوظة

بيروت - حزيران ١٩٥٥

الطبعة الاولى

المكتبة  
مكتبة بانيات  
الجامعة  
بيروت  
طه محمد القاضي



## الفصل الرابع

### الامثال القديمة

قال لي صاحبي وهو يتثائب والكبرى يداعب اجفانه ويرسل ابتسامات السخرية والاستهزاء والاذراء .

( الآن ظهر الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً )

قلت :

( من طبيعة الحق ان يظهر يا صاحبي ومن طبيعة الباطل ان يزهد والحق يعلو ولا يعلى عليه . ولكن ماهذا الحق الذي ظهر؟ وما هذا الباطل الذي زهد ؟ )

قال صاحبي

قدر لي في هذا الاسبوع ان اقف على كتابك « احاديث الامسيات » او قدر لكتابك « احاديث الامسيات » ان يقع بين يدي في هذا الاسبوع . ويبدو لي من مطالعة هذا الكتاب الصغير انك تسير على نفس القاعدة التي يسير عليها الدكتور طه حسين في كتاباته وانك تجاريه في اسلوبه وتحاول تقليده في هذا الاسلوب ما استطعت الى ذلك سبيلا . ولا ادري ما السر في

حملتك على هذا الاديب الذي تحاول ان تنهج نهجه ولا ادري  
ما الدافع الذي يدفعك الى ان تحاربه بسلاحه )  
قلت

( الم اقل لك اكثر من مرة يا صاحبي ان الدكتور طه  
حسين اديب مشهور لا يجديني تحاملي عليه نفعا ولا يسبب لي  
كرهي اليه ضرا ولا اطمع في محاربة من تربع على عرش الادب  
وقدر له الحظ أن يرتقي الى زروة هذا الادب وما زلت اهيء  
نفسي وابحث عن الوسائل التي تمكنني من السير في بداية هذا  
الطريق .

وليست اساليب الكتابة ومفردات اللغة ملك الدكتور  
طه حسين وامثاله من الكتاب والادباء ، وانكسر ملك كل  
اديب وكاتب ، وادوات طيعة في يد كل كاتب واديب ،  
يتصرف بها كيف يشاء وينحو بها النحو الذي يريد .

قال صاحبي

( دعنا من الدكتور طه حسين ومن الحديث عنه وعد بنا  
الى ما نحن بصده وحدثنا عن الامثال القديمة واوزج الحديث  
في هذا الموضوع

قلت



( بين يدينا ثروة نفيسة يا صاحبي مما ينسب الى العصر الجاهلي  
من الامثال نضعها بين يدي القارئ بشيء من الاجاز والتحفظ  
مجتهدين في الغرابة والنخل قدر الامكان ، علنا تثبت منها ما  
يصح ان ندعوه وثيقة ثورية ، يعتمد عليها مؤرخو الادب ولا  
سيما النثر منه . ونحن لا نزعم يا صاحبي أن ما نقله لنا الرواة  
كالفضل الضبي وابي عبيدة والاصمعي من الامثال وليد العصر  
الجاهلي وحده ، لكننا نرى ان هذه الامثال قيلت في العصر  
الجاهلي و صدر الاسلام وهي تصور لنا البيئة البدوية القديمة .  
ويبدو لنا ان الرواة لم يكتفوا بنقل هذه الامثال كما هي ،  
وبصيغتها الاصلية ، بل انهم هذبوها واقاموا اود بعضها الاعرابي  
وجاء هذا التراث الضخم من الامثال بمثابة عبارات تضرب في  
حوادث مشبهة للحوادث الاصلية التي جاءت فيها ، وقد عني  
علماء العصر العباسي بدراستها ، وكان في طليعتهم المفضل الضبي  
وابو عبيدة ، ثم جاء من بعدهما ابو الهلال العسكري في كتابه  
( جمهرة الامثال ) والميداني في كتابه ( مجمع الامثال ) وهو  
يقول في مقدمته انه رجع في تأليفه الى ما يربو على خمسين كتابا  
وقد درج كل من الفوا في الامثال على ان يرتبها حسب  
حروفها الاولى على نحو ما ترتب المعاجم الفاظها ، ولذلك تراهم

يوزعونها عادة تسعة وعشرين باباً بعدد ابواب الحروف الهجائية  
وهم بعد هذا التوزيع يفسرونها ويقصون احيانا حوادثها  
التي جاءت فيها معتمدين على ضروب من الظن والتخمين مما  
جعل الاستاذ نيكلسون يزعم ان قيمة الامثال محدودة بالنسبة  
للعصر الجاهلي<sup>(١)</sup> . وله الحق فيما يزعمه فقد طال العهد بين العصر  
الجاهلي وبين عصر هؤلاء المفسرين ، وانه لينبغي ان نشي على  
على صنيعهم ، ولكن مع شيء من الحذر في الاخذ بتفسيرهم  
وقصصهم ما دمنا نتهم القصص الجاهلي عامة وما نسب الى عرب  
الجاهلية من اخبار واحداث

وثم مشكلة اخرى ينبغي ان نلتفت اليها في بحث الامثال  
وهي ان كثيراً منها مبهم غامض لا يكاد الانسان يفهمه الا  
اذا رجع الى شراح الامثال يستعين بهم ، فمن ذلك قول العرب  
« بعين قارينك » فان معناه اسرع ، وهو معنى لا يفهم من  
اللفظ بتاتاً ، وقد علق ابو هلال العسكري على هذا المثل بقوله  
هو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعاً من غير ان يدل



عليه لفظه <sup>١</sup> وبجانب هذا النوع الذي لا يدل عليه لفظه نجد نوعاً آخر اضطرب الشراح في تأويله وفهمه على نحو ما نجد في هذا المثل : « لا يعرف الهر من البر » فقد قال قوم البر الفأره : ليستقيم لهم المعنى مع الهر <sup>٢</sup> ، وقال بعض الكوفيين في تفسيره « لا يعرف من يهر عليه من يبره <sup>٣</sup> . ونقل السيوطي عن ابن فارس انه قيل : « الهر دعاء الغنم والبر سوقها وقيل : الهر ولد السنور والبر ولد الثعلب <sup>٤</sup> . على انه ينبغي ان نعلم ان هذه الامثال الغامضة قليلة ، اما الكثيرة فواضحة بينة .

وقد اكثر العرب من صنع الامثال وضربها في جميع احداثهم وما يتصون من اجتماعهم وحياتهم في الحرب وفي السلم من نحو : ما يوم حليلة بسر - قلب له ظهر المجن - قبل الرماء تملأ الكنائن - قطعت جبهة قول كل خطيب - ماء ولا كصداء - استنوق الجمل - مرعى ولا كالسعدان ، وغير ذلك كثير .

وهناك جماعة اشتهرت في العصر الجاهلي بكثرة ما انزلت على

---

(١) جهرة الامثال للعسكري على الهامش (٢) الجهرة لابن دريد طبع الهند ١ / ٩٨ مجمع الامثال طبع المطبعة الخيرية ١ / ١٦٨ (٣) نفس المصدر ١ / ٨٩ (٤) المزهر للسيوطي طبع ١ / ٥٠٠

السنن منها من هذه الامثال ، ومن عرف بذلك لقمان عاد ، وهو غير لقمان الحكيم الذي جاء في القرآن الكريم <sup>(١)</sup> . وتذهب دائرة المعارف الاسلامية - في مادة لقمان - الى ان شخصية لقمان مرت بثلاث مراحل : (١) مرحلة جاهلية وفيها نجد لقمان عاد ، صاحب قصة النسر ، اذ يزعمون انه عاش عمر سبعة نسر كلما مات نسر قام بعده نسر ، وكان آخر هذه النسر لب الذي ذكره الشعراء كثيراً في اشعارهم <sup>(٢)</sup> (٢) ومرحلة قرآنية وفيها نجد لقمان صاحب السورة الخاصة به ، وقد ربط المفسرون بين لقمان هذا وبين بلعم الحكيم الاسرائيلي فظنوا انه هو لقمان المذكور في القرآن والدليل على ذلك انهم ينسبونه على هذا النحو لقمان بن باعورا وهو نفس نسب بلعم الاسرائيلي (٣) ثم مرحلة متأخرة وهي مرحلة مرحلة نسج فيها حول لقمان قصص كثير على نحو ما نجد في كتاب «امثال لقمان» وهو مكتوب بأسلوب مبتذل .

---

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ (الطبعة الاولى) نشر السندوني ١٣٦/١  
وكذلك خزانة الادب للبغدادي طبع بولاق ٢ / ٧٧  
(٢) انظر كتاب المعمرين لابي حاتم الجستاني طبع مطبعة السعادة ص ٣ ،  
وكذلك حياة الحيوان للدميري طبع المطبعة الخيرية ٢ / ٣٠٦



ولا تستطيع ان تسلم بما تقوله دائرة المعارف الا اذا سلمنا بان لقمان عاد هو نفس لقمان المذكور في القرآن الكريم وليس بين ايدينا ما يثبت ذلك ، بل على العكس نرى علماء العرب يفرقون بينها دائماً ، وقد روت كتب الامثال عن الاول بعض امثال له <sup>(١)</sup> بينما روى الامام مالك في كتابه « الموطأ » بعض امثال لقمان الحكيم . ونحن نجد كثيراً من سادة القبائل في العصر الجاهلي يعرفون بالحكم وضرب الامثال ، ومن عرف بذلك اكتم بن صيفي التميمي <sup>(٢)</sup> ، وعامر بن الظرب <sup>(٣)</sup> وكانت حكماً للعرب تحتكم اليه ، وقد اقتخر به ذو الاصبع العدواني في بعض شعره <sup>(٤)</sup> ، ويكاد لا يوجد في العصر الجاهلي سيد او خطيب مشهور الا وتضاف اليه جملة من الحكم والامثال . ونرى يا صاحبي ان نرد هذه الامثال الى ثلاثة مصادر هي :

(١) مجمع الامثال للميداني ١ / ٢٣ وايضاً ١ / ٥٦

(٢) انظر بعض حكم اكتم في مجمع الامثال للميداني ٢ / ١٤٥ وجهرة الامثال للعسكري على هامش مجمع الامثال ١ / ١٢٠ وشرح ابن ابي الحديد على نهج البلاغة ٤ / ١٥٥

(٣) انظر بعض حكم عامر في البيان والتبيين ٢ / ٦٣ وكذلك مجمع

الامثال ١ - ٢١١ وايضاً ٢ - ١٨٣

(٤) اغاني طبع دار الكتب ٣ - ٩٠

أ - الشعر القديم كقولهم

- ١ - « اي الرجال المهذب » . وهو عجز لبيت للنابعة  
ولست بمستبق اخاً لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب  
٢ - « خلا لك الجو فيضي واصفري » وهو عجز لبيت  
لطرفه

يا لك من قبرة بمغمر خلا لك الجو فيضي واصفري  
٣ - « رضيت من الغنيمة بالاياب وهو عجز لبيت لأمرى »  
القيس

- وقد طوفت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب  
٤ - « عند النطاح يغلب الكباش الاجم »  
٥ - « البس لكل حالة لبوسها »  
وهما من  
الرجز القديم

ب - الامثال

واما الامثال التي نرى ان نضعها في باب الانشاء العالي يا  
صاحبني فهي الامثال التي وردت في القرآن والحديث وما حكاه  
الحكماء والخطباء ، وما روي عن اناس مجهولين ، وتظهر فيه  
الصنعة الانشائية كقولهم :

- ١ - « رب عجلة تهب ريثاً » « ورب فزوقة يدعى ليثاً »



٢ - « المرء تواق الى ما لم ينل »

٣ - وقولهم « اطرق كرا <sup>(١)</sup> ان النعامة في القرى »

فاذا انعمنا النظر يا صاحبي في هذه الامثال رأينا ان فيها  
من اثر الصنعة الكلامية ما لا يصدر الا عن عرفوا فن الكلام  
ومارسوه واتقنوا مداخله

ج - اقوال العامة .

وبما وصلنا من اقوال العامة الامثال التي اصبحت فيما بعد  
من باب الانشاء العالي لانها لم تبقى كما كانت عليه وانما هذبت  
على مر الزمن كقولهم :

١ - « ما لي سارحة ولا رايحة » اي ليس له شيء

٢ - « بقل شهر وشوك دهر » لمن يقصر خيره ويطول شره

٣ - « برز نارك وان هزلت فارك » أي آثر الضيف بما

عذاك وان نهكت جمل وافتقرت

٤ - « شر الناس من ملحه على ركبته » يضرب للزنيق

السريع الغضب

٥ - « لا يثبت البغلة الا الحلقة » يضرب للكلمة الخسيسة

---

(١) كرا ترخيم كروان وهو طائر معروف ويضرب لمن لا غناء عنده

ويتكلم

من الرجل الحسيس

ويبدو لنا يا صاحبي ان هذه الامثال تمثل لغة العامة وليس فيها اثر للصنعة الانشائية ، والتكلف اللغوي ، ونحن لا ننكر انه كان هنالك لغة عامية يتعاطاها الناس في حياتهم العادية ، ولكنها لم تكن بعيدة عن الفصحى بعدها اليوم ، بعد ان اختلط العرب بالاعاجم وبعد ان اصبحت اللغة العربية لغة الامم المغلوبة ولا بد لنا من القاء نظرة عابرة على الامثال الفصيحة ، لأننا نرى فيها افضل شواهد يمكن ان يتعرف بها الباحث الى النثر الذي نشأ في الاوساط الادبية في ذلك الحين . وتمتاز الامثال الفصيحة بالقصر وحسن المبنى ، وجودة السبك ، وهذا مما سهل حفظها على الذاكرة ، وجعلها تنتقل من جيل الى جيل ، ومن هذه الامثال يا صاحبي قولهم :

« احلبت ناقتك ام اجلبت » ، اي انتجت إناثاً فتجلبها ام زكوراً فتجلبها للبيع . « ضوارب بثت لعرف باليد »  
الضوارب : النياق التي تضرب حالبها ؛ والعرف : قروح تخرج باليد . اي نياق سيمت لذي قروح بيده ليحلبها .  
يضرب لمن كلف لما يعجز عنه ؛ « كمستبضع التمر الى هجر »  
قال ابو عبيدة وهو من الامثال القديمة . وقد اقتبسها النابغة



الجمدي ، فقال :

وان امرءاً أهدي اليك قصيدة

كمتبضع تمراً الى ارض خيبر

« لا في العير ولا في النفير » اول ما قاله ابو سفيان ويضرب لمن يحط امره ويصغر قدره .

ومجمل القول ، اننا ذكرنا قليلا من كثير مما وصلنا من الامثال القديمة ؛ ونحن لا ننسب كل ما جمع من الامثال بالعصر الجاهلي ، بل نرجح أنها لا تخلو من النحل ؛ لان الاسلام لم يغير من طبيعة البداوة وعاداتها ، الا فيما يتصل بالعاطفة الدينية ؛ ويكفي ان نقول ان شعر شعراء البلاط الاموي ، وخاصة شعر الاخطل والفرزدق وجريز ، جاء متمما للشعر القديم وتمتاز الامثال القديمة بتقديم المسند على المسند اليه ، والقيود على المقيدات ، وبقصر العبارة ، وشدة الاقتضاب والتلميح ، وبعد الإشارة والاياء . ويبدو انهم كانوا يعتمدون الانغام الموسيقية في امثالهم لتسهيل على الحفظ ، كقولهم : « وعند جهينه الخبر اليقين » ولا ضرورة لاقحام الواو في هذا المثل ، الا لاتمام النغم الموسيقي ، وما يصدق على هذا المثل يصدق على سواه مما يضيق

المقام بذكره هنا .

ولكننا نرى أن ننقل لك طائفة قليلة من هذه الأمثال التي  
يسودها النغم الموسيقي حتى لا تملنا .

أن البغات بأرضنا يستنسر - في بيته يؤتى الحكيم - ان  
البلاء موكل بالمنطق - كل فتاة بأبيها معجبة - فان غداً لناظره  
قريب - الى حيث القت رحلها أم قشعم - ان الشقي وافد  
البراجم - إياك اعني ، فاسمعي يا جارة .



## الفصل الخامس

### سجع الكهان

قال لي صاحبي متهمكما ، مرسلات التهكمات الواحدة تلو  
الآخرى : « الم اقل لك انك متأثر بأسلوب الدكتور طه حسين  
ايما تأثر ، ومع ذلك فانك تتحامل عليه وتحاول تغطية نور  
الشمس براحتك ، وتتطاول على من لست اهلا للتطاول عليه . »  
قلت : « لم اقرأ يا صاحبي من مؤلفات الدكتور طه حسين  
على كثرتها ، الا النور اليسير ، حتى اتأثر بأسلوبه واحذو حذوه  
واكتب بطريقته . ويبدو لي ، يا صاحبي انك تسيء الظن بي  
وتتهمني بما ليس بي ، وترى اني اتحامل على الدكتور طه حسين  
فتسخر مني وتتهم علي . والواقع انني في غنى عن التحامل على  
هذا الاديب وعلى سواه من الادباء ، ولكن لي رأي احببت  
ان ابدية لك في هذا الحديث ، ففهمت منه ما لا يجب ان يفهمه  
العقلاء ، وعلى كل حال فلا لوم عليك ولا تثريب ، ولك  
مطلق الحرية في ابداء رأيك ، وفي مظاهره من تشاء ، ومناهضة  
من تشاء . وأرى يا صاحبي ان لا تشت بي عن الموضوع ،

وان تعفيني من هذا النقاش ، لاعود بك الى موضوع بحثنا ،  
وهو سجع الكهان .

كانت عند العرب في العصر الجاهلي طائفة تدعي التكهن  
وانها تطلع على الغيب ، وكان كل كاهن منها يزعم انه سخر له  
رئي<sup>١</sup> من الجن يسترق له السمع فيعرف - عن طريقه -  
ما كتب للناس في الواح الغد . ومن اشتهروا بهذا التكهن في  
الجاهلية سطيح الذئبي ومشق بن مصعب الانماري ، واليهما  
فزع نصر بن ربيعة ملك اليمن في تفسير رؤيا له<sup>٢</sup> . ومن  
كهانهم ايضاً عوف بن ربيعة الاسدي<sup>٣</sup> والمأمون الحارثي<sup>٤</sup>  
ومسلمه الخزاعي<sup>٥</sup> وسواد بن قارب المدوسي وقد ادرك

---

(١) البيان والتبيين ١ - ١٩٥

(٢) الكامل لابن الاثير طبع ليدن ١ - ٣٠١ وانظر السيرة النبوية لابن

هشام ١ - ١٥

(٣) اغاني طبع دار الكتب ٩ - ٨٤

(٤) اغاني طبع الساسي ٥ - ٧٠

(٥) السيرة الحلبية طبع بولاق ١ - ٥



الاسلام<sup>(١)</sup> ومن اشهرهم واعظمهم نرى سلامة<sup>(٢)</sup> الكاهن . وقد وجد بجانب هؤلاء الكهنة بعض نسوة عرفن التكهن من مثل الشعثاء<sup>(٣)</sup> الكاهنة ، وكاهنة ذي الخلصة<sup>(٤)</sup> والكاهنة السعدية<sup>(٥)</sup> والزرقاء بنت زهير<sup>(٦)</sup> والعيطة القرشية<sup>(٧)</sup> .

[وقد روت كتب التاريخ والأدب طائفة من اقوال هؤلاء الكهان وخطاباتهم ، وكلها تذهب مذهب السجع . واكبر الظن ان كثيراً مما روي عنهم مصنوع وخاصة ما يرويه القالي في كتابه الامالي . وانه لمن الخطأ ان يعتمد باحث على كل ما روي في هذا الباب . على اننا نستطيع بعد ان نرفض اكثر ما يروي من كلامهم أن نعود فنظن بعض الظن - غير متحيزين - أن الكهان يسجعون في خطاباتهم ، والا لما استقر عند جميع من نحلوهم بعض الاقوال والخطب انهم يعتمدون على

---

(١) سيرة ابن هشام ١ - ٢٢٣

(٢) البيان والتبيين ١ - ٢٣٠

(٣) مجمع الامثال الميداني ١ - ٩١

(٤) نفس المصدر ١ - ٢٢٣

(٥) نفس المصدر ٢ - ٥٤

(٦) اغاني ساسي ١١ - ١٥٥

(٧) سيرة ابن هشام ١ - ٢٢١

السجع في كهانتهم ، وايضاً فقد جاء في الحديث النبوي ان النبي ﷺ قضى على رجل في جنين بدية ، فقال الرجل : يا رسول الله أأدى من لا شرب ولا اكل ، ولا صاح فاستهل ، اليس مثل ذلك يطل ؟ فانكر النبي عليه السلام هذا الاسلوب على الرجل<sup>١</sup> وقال له : أسجعاً كسجع الكهان<sup>٢</sup> ؟ وفي رواية انه قال : انما هذا من اخوان الكهان<sup>٣</sup> . وما من شك في ان هذا الحديث يدل اكبر الدلالة على أن الكهان كانوا يستخدمون السجع في كهانتهم .

ويقول الجاحظ : « كان حازي ( كاهن ) جهينة وشق وسطيح وعزى سلمة واشباههم يتكهنون ويحكمون بالأسجاع » ثم يروي من سجع عزى سلمة قوله<sup>٤</sup> : « والارض والسماء ، والعقاب والصقعاء واقعة ببقعاء ، لقد نفر المجد بني العشراء ، للمجد والسناء ،<sup>٥</sup> .

- 
- (١) يطل لا يطأ بدمه ، وانظر البيان والتميين - ١٩٤ ومجيع مسلم طبع الاستانة ٥ - ١١١
- (٢) اعجاز القرآن للماقلاني طبع مطبعة الاسلام ص ٣٢
- (٣) موطأ مالك طبع هجر بمصر ٢ - ١٩٢
- (٤) البيان والتميين ١ - ١٩٥
- (٥) الصقعاء : الشمس . بقاء : ماء . بنو العشراء : جماعة من فزارة السناء : الرفعة .



[واذا صحت هذه الكلمة لعزى سلمة فانها ترينا أن الكهان  
 كانوا يعتمدون في كهانتهم على السجع كما كانوا يعتمدون على  
 مثل هذه الاقسام بالارض والسماء والعقاب، والصقعاء، وايضاً  
 فانهم كانوا يعتمدون على الاغراب في الفاظهم . وهذه هي  
 السمات العامة التي يمكن ان نستنبطها من خلال النصوص الكثيرة  
 التي رويت من سجعهم ، ونحن نرى هذه السمات واضحة في هذه  
 القطعة الصغيرة التي رواها الجاحظ لعزى سلمة ، وهي سمات  
 طبيعية اذ كانوا يميلون الى الابهام في احاديثهم وخطاباتهم وكان  
 لا بد لهذا الابهام ان يعتمدوا على ما يضعون من الاقسام  
 واللفظ الغريب ليتيح لهم ذلك مقداراً من الرمز والوهم في  
 اساليبهم (1) واكبر الظن انهم كانوا يبالغون في ذلك حتى تنبهم  
 معانيهم ، فيكثر فيها الفهم ويكثر الاحتمال والتأويل . ونحن لا  
 نتجاوز الواقع اذا ذهبنا الى ان الكهان كانوا يبنون سجعهم  
 في كثير من جوانبه على الرمز ، فان كهانتهم كانت تقتضي  
 ان يختاروا الفاظاً موهمة توغر بما يريدون دون ان تفصح - في  
 كثير من احوالها - عن شيء مفهوم . ومهما يكن فان حرفة  
 الكهانة في هذا العصر اثمرت ضرباً طريفاً من الخطابة كان  
 يتكئ على السجع والتوقيع كما كان يتكئ على الاقسام واللفظ

واكبر الظن ان فيما قدمنا من حديث عن سجع الكهان  
وخطابة الجاهليين وما كان من امثالهم ما يدل دلالة صريحة على  
ان ما سلم لنا من بقايا نثرهم انما هو بقايا متناثرة من صناعة  
محكمة دقيقة كانت تستنفد من اصحابها آمادا واسعة من التعب  
والجهد والنشاط . اذن كان للعرب في اواخر العصر الجاهلي  
اسلوب مسجع . ونحن اذ نشك في صحة الرواية ، نرجع الى  
القرآن الكريم لنتتبع اخبار الكهان في اكثر من آية كقول  
القرآن رداً على المشركين الذين اتهموا النبي تارة بكاهن ، وطوراً  
بشاعر وآخر بساحر : « أم يقولون شاعر . نتربص به ريب  
المنون » ١ .

« فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » ٢

« وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون » ٣

« ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » ٤

ولقد حسب العرب ، يا صاحبي ، القرآن ضرباً من سجع  
الكهان لما لمسوه من تقارب في الاسلوب بينه وبين السجع

---

(١) سورة الطور . آية ٣٠ . (٢) سورة الطور آية ٢٩ . (٣) سورة  
الحاقة . آية ٤١ . (٤) سورة الحاقة آية ٤٢ .



وخاصة في السور الاولى منها . ويقال إن النبي حرم السجع  
 لان الكهـ ان كانوا يتكهنون ويحكون كقولهم « الارض  
 والسماء والعقاب والصقعاء ، واقعة ببقعاء » . « لقد نفر المجد  
 بين العشاء للمجد والسناء » . فلما زالت العلة ، بطل التحريم  
 خذ مثلاً ، يا صاحبي ، حديث الكاهنة زبراء مع بني رثام .  
 قالت تحذرهـ من الاعداء « يا تمر الا كباد ، وانداد  
 الاولاد وشجا الحساد ! هذه زبراء تحبركم عن انباء قبل الخسار  
 الظلماء بالمؤيد الشنعاء ، واللوح الخافق والليل الغاسق والصبح  
 الشارق ، والنجم الطارق والمزن الوداق أن شجر الوادي ليندوا  
 ختلا ويحرق انياباً عصلاً ، وان صخر الطود لينذر تكلاً لا  
 تجدون عنه معلاً ... الخ . » ولو قارنا القسم الثاني من سجع  
 الكاهنة بسورة الشمس : « والشمس وضحيها ، والقمر اذا تلاها  
 والنهار اذا جليها ، والليل اذا يغشيها » لوجدنا شبهاً واضحاً في  
 الاسلوب القسـمي وفي تقطيع الجمل ، وتسجيعها ؛ ومثل ذلك  
 ما نقل عن لسان الخزاعي الكاهن عن الحكم بين هاشم وامية ،  
 ومنه : « والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر والغمام الماطر ،  
 وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد  
 وغائر ، ولقد سبق هاشم امية الى المآثر ، اولا منه وآخر »

فاذا قابلت القسم والسجع في هذا الحديث بسورة الفجر :  
والفجر ١ وليال عشر ٢ والشفع والوتر ٣ والليل اذا يسر ٤ ،  
هل في ذلك قسم لذي حجر ٥ . وما يصدق على سورة الفجر  
يصدق على سورتي التين والمدثر ، وسواهما من مثيلاتها من  
السور القرآنية ونحن لا نتوعد ، يا صاحبي ، في اثبات صحة  
السجع القديم ، ولا ننكر الوضع فيه ، ومن المعروف أن السجع  
كان شائعاً في الحلقات الدينية والاخلاقية ولم يخرج القرآن عن  
الاسلوب الديني في تلك الايام .

فالسجع فيه كثير ، وقد ظل السجع سائداً في الخطب  
والوعظ الديني في صدر الاسلام وعصر بني العباس يوم ان  
طغى سيل الاسلوب الديني على اسلوب الخطباء ، ولم يتحرر  
الكتاب منه الا منذ عهد قريب .

( ) سورة الفجر ... آية ١ .

( ٢ ) » » الاية الثانية .

( ٣ ) » » الثالثة .

( ٤ ) » » الرابعة .

( ٥ ) » » الخامسة .



## الفصل السادس

### الخطابة في عهد الانشاد

قال لي صاحبي : « ما لك لا تحدثنا عن الخطابة في عهد الانشاد ، وتبدي لنا رأيك في هذا الموضوع الخطير ، وانت تعلم ان الدكتور طه حسين انكر ما وردنا من خطب العصر الجاهلي ، وعزاها الى العصور الاسلامية قلت : **كان** للخطابة شأن عظيم في العصر الجاهلي اذ كان الخطيب لا يقل في منزلته عن الشاعر ، بل يقول ابو عمرو بن العلاء ان الخطيب في الجاهلية كان فوق الشاعر <sup>١</sup> ، ولا غرابة فيما يقوله ؛ لأن الخطيب كان لسان القبيلة فهو الذي يتكلم باسمها في المواسم والمحافل العظام ، وربما كان من اسباب تفوقه على الشاعر انه كان يدعو الى السلم وان تضع الحرب بين القبائل المتخاصمة اوزارها ، بينما كان الشاعر يدعو الى الاخذ بالثأر واشعال نار الحرب **كان** ، ولعل ذلك ما جعل ربيعة بن مقروم الضبي يقول <sup>٢</sup> :

---

(١) البيان والتبيين ١ - ١٧٠

(٢) اغاني طبع الساسي ١٩ - ٩٣

ومتى تقم عند اجتماع عشيرة  
خطبائنا بين العشيرة يفصل

ويقول ابو زبيد الطائي<sup>١</sup> :

وخطيب اذا تمصرت الأؤ

جه يوماً في ماقط مشهود

والمأقط : موضع القتال . ومن يرجع الى مدائح الشعراء  
ومراثيهم لسادة القبائل يجدهم كما يصفونهم بالشجاعة يصفونهم  
بالخطابة ، يقول الاعشى في مديح قوم<sup>٢</sup> :  
فيهم الخصب والسماحة والنجدة

جوماً والخطاب الصلاق

والصلاق : شديد الصوت . ويقول اوس بن حجر في رثاء

فضالة بن كعدة<sup>٣</sup>

أبا دليجة من يكفي العشيرة اذ

أسوا من الخطب في نار وبلبال

ام من يكون خطيب قوم اذا حفلوا

---

(١) البيان والتبيين ١ - ١٣٠

(٢) نفس المصدر ١ - ٩٦

(٣) نقد الشعر لقدامة طبع الجوائب ص ٣٥ وانظر ديوان اوس بن

حجر طبع فينا ص ٢٢ .



لدى الملوك ذوى ايد وافضال  
الهفا على حسن آلائه

على جانب الحمى والحارب

ويقول اوس فيه ايضاً<sup>١</sup>

ورقبته جثمان<sup>٢</sup> الملو

ك بين السراق والحاجب

ويكفى المقالة اهل الدحا

ل<sup>٣</sup> غير مصيب ولا غائب

ورقبته : انتظاره اذن الملوك ، وقد جعله بين السراق

والحاجب ليدل على مكانته من الملك . ويظهر انهم كانوا يخطبون

كثيراً في وفادتهم على الملوك والامراء ، ونحن نعرف قبة

وفد تميم الى محمد ﷺ اذ قام خطيباً بين يديه عطار د بن حاجب

بن زرارة<sup>٤</sup> وقد افتخر الفرزدق بذلك اذ يقول<sup>٥</sup> :

---

(١) البيان والتبيين ١ - ١٣٤

(٢) في الاصل حمت

(٣) الدحال : الخبث والدهاء في حذق وفي الاصل « الرجال »

(٤) تاريخ الطبري : القسم الاول ص ١٧١١ واغاني دار الكتب ٤ - ١٤٦

(٥) البيان والتبيين ١ - ٢١٣

ومنا خطيب لا يعاب وحامل

اعز اذا التفت عليه المجامع

وكانوا يخطبون كثيراً ايضاً في حروبهم وفي مجامعهم  
واسواقهم وفي مغامراتهم ومنافراتهم . وفي كل مكان من  
الجزيرة نجد خطباء منشورين ، في مكة وفي المدينة وفيما وراءهما  
من قبائل البادية . اما مكة فقد اشتهر فيها عتبة بن ربيعة ،  
وهو خطيب قریش يوم بدر <sup>١</sup> ومن خطبائها ايضاً سهيل بن  
عمر <sup>و</sup> الا علم <sup>و</sup> وهو الذي قال فيه عمر للنبي ﷺ : انزع ثنيتيه السفليين  
حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال رسول الله :  
لا امثل فيمثل الله بي وان كنت نبياً ، دعه يا عمر ، فعسى ان  
يقوم مقاماً نحمده <sup>٢</sup> ولقریش ايضاً خطباء كان ينفر اليهم العرب  
امثال هاشم وأمية <sup>٣</sup> . وكذلك نفييل بن عبد العزى جد عمر  
بن الخطاب ، واليه نفر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية <sup>٤</sup>

---

(١) اغاني طبع دار الكتب ٤ - ١٨٧

(٢) البيان والتبيين ١ - ٢٠٧

(٣) شرح النفائس لاني عبيدة طبعة بين ١ - ٢٢٤

(٤) تاريخ الطبري : القسم الاول من ١٠٩١



واما المدينة فقد ذكر الجاحظ من خطبائها قيس بن الشماس وثابت بن قيس بن الشماس خطيب النبي ﷺ وسعد بن الربيع وهو الذي اعترضت ابنته النبي صلوات الله عليه ، فقال لها : من انت ؟ فقالت : ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع<sup>١</sup> واذا تركنا مكة والمدينة الى القبائل المنبطحة في البادية وجدنا ممن اشتهروا فيها بالخطابة ابا عمار الطائي وهو خطيب مدحج كلها<sup>٢</sup> ، وهانىء بن قبيعة خطيب شيان يوم ذي قار<sup>٣</sup> وزهير بن جناب خطيب كلب وقضاة<sup>٤</sup> وربيعه بن حذار خطيب بني أسد<sup>٥</sup> واليه احتكم الزبرقان بن بدر والحبل السعدي وعبد بن الطيب وعمرو بن الاهتم ايمهم اشعر<sup>٦</sup> . ومن الخطباء المشهورين ايضاً في القبائل عامر ابن الظرب<sup>٧</sup> ولييد بن ربيعة

---

(١) البيان والتبيين ١ - ٢٣٠

(٢) البيان والتبيين ١ - ٢٢٥

(٣) اغاني طبع الساسي ٢٠ - ١٣٧

(٤) نفس المصدر ٢١ - ٦٥

(٥) نفس المصدر ١٠ - ٦٢

(٦) نفس المصدر ١٢ - ٤٠ وكذلك ٢١ - ١١٣

(٧) اغاني طبع دار الكتب ٣ - ٩٠ والبيان والتبيين ١ - ٢٣٣

العامري الذي يقول<sup>١</sup> :

واحلف قسا ليتني ولو انني

واعي على لقمان حكم التدبير

ويقول ايضاً<sup>٢</sup> :

والبيض يجتاب الخروق على الوجي

خطيباً اذا التف الجامع فيصلا

ومن خطباء القبائل هرم بن قطبة الفزاري<sup>٣</sup> وهو صاحب  
المنافرة المعروفة بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل ، وقد  
رآه عمر يوماً في المسجد فقال له : رأيت لو تنافرا اليك - يعني  
علقمة وعامراً - أيهما كنت تنفر ، فقال : يا امير المؤمنين لو  
قلت فيهما كلمة لاعدتها جذعة ، فقال عمر : لهذا العقل تحاكت  
اليك العرب<sup>٤</sup> . ومن الخطباء البلغاء قس بن ساعدة خطيب اباد<sup>٥</sup>  
وعمر بن كلثوم خطيب تغلب<sup>٦</sup> وهيدان بن شيخ الذي قال فيه

---

( ١ ) البيان والتبيين ١ - ١٤٠

( ٢ ) البيان والتبيين ٢ - ١٣٢

( ٣ ) نفس المصدر ١ - ٢٣٣

( ٤ ) البيان والتبيين ١ - ١٦٨

( ٥ ) نفس المصدر ١ - ٥١ ، ١ - ٢٠٣

( ٦ ) نفس المصدر ٢ - ١١١



الرسول : رب خطيب بن عبس<sup>١</sup> . ومن خطباء غطفان العشاء  
 بن جابر وخويلد بن عمرو خطيب يوم الفجار<sup>٢</sup> وقيس بن خازجة  
 بن سنان ويقال انه خطب في حرب داحس والغبراء يوماً الى  
 الليل<sup>٣</sup> . ومن خطباء القبائل ايضاً حنظلة بن ضرار خطيب بني  
 ضبة ، وقد طال عمره حتى ادرك يوم الجمل<sup>٤</sup> . ولم تشتهر  
 قبيلة بالخطابة اشتهاه تميم ، ومن خطبائها المفوهين صنمرة بن  
 صنمرة<sup>٥</sup> واكثم بن صيفي<sup>٦</sup> وقيس بن عاصم<sup>٧</sup> وعطارد بن  
 حاجب بن زرارة خطيب وفد تميم بين يدي الرسول ، وعمر بن  
 الاهتم المتقري « ولم يكن في بادية العرب في زمانه انخطب  
 منه<sup>٨</sup> ؛ وما من ريب في ان هذه الكثرة من الخطباء تدل على  
 ما كانت عليه الخطابة حينئذ من رقي وازدهار .

( ١ ) نفس المصدر ١ - ٨٥

( ٢ ) البيان والتبيين ١ - ٢٢٦

( ٣ ) نفس المصدر ١ - ٩٢٢

( ٤ ) نفس المصدر ١ - ٢٢٠

( ٥ ) جهرة الامثال لابي هلال ١ - ١٦٨

( ٦ ) اغاني طبع الساسي ٥ - ١٧٠

( ٧ ) البيان والتبيين ١ - ٥٧

( ٨ ) البيان والتبيين ١ - ٢٢٨

وقد كان لعرب الجاهلية سنن خاصة في خطابتهم ، منها انهم كانوا يخطبون على رواحلهم في المواسم العظام والمجامع الكبارا وكان من عاداتهم ان يشيروا اثناء خطابتهم بالعنا والعصي والقضبان والقسي وفي ذلك يقول لبيد<sup>٣</sup> :

ما ان اهـاب اذا السرا دق عمه

قرع القسي ، وارعش الرعيد

وكانوا يمدحون جهازة الصوت وفخامته ويعيبون ضيقه ودقته وان يعترض الخطيب البهر والارتعاش والرعدة ، او ان يعتريه شيء من الحصر . يقول ابو العيال الهذلي<sup>٥</sup> :

ولا حصير بخطبته

اذا ما عزت الخطب

وكانوا يكرهون ان يمس الخطيب ذقنه وسبالة . يقول معن

(١) نفس المصدر ٣ - ٣

(٢) نفس المصدر ١ - ٢٣٧

(٣) نفس المصدر ٣ - ٤

(٤) نفس المصدر ١ - ١٣٠

(٥) نفس المصدر ١ - ٢١



ابن اوس المزني في بعض هجائه<sup>١</sup> :

إذا اجتمع القبائل جئت ردفاً

امام الماسحين لك السبلا

فلا تعطي عصا الخطباء فيهم

وقد تكفى المقادة والمقالا

وإذا كانوا قد عابوا ذلك في الخطيب فانهم مدحوا فيه -  
على نحو ما يلاحظ الجاحظ في بيانه - شدة المعارضة وظهور  
الحجة وثبات الجنان وكثرة الريق والعلو على الخصوم في مضائق  
الكلام ومازق الخصام<sup>٢</sup>.

قال صاحبي وما هذا الانشاد الذي تحدثنا عنه ؟ قلت :  
« شئت نواميس الطبيعة ان يكون تطور الامم والجماعات  
رهن بتطور الافراد ، وشئت نواميس الطبيعة ايضاً ان يكون  
نمو الشعور والخيالة في طفولية الامم والجماعات والافراد اسرع من  
نمو سائر القوى العقلية والنفسية . وكان ان نتج عن هذا كله  
ان تقدمت الآثار الشعرية على الآثار النثرية وسبقتها الى الظهور  
بمعناها الواسع الصحيح .

(١) البيان والتبيين ١ - ٢٣٧

(٢) نفس المصدر ١ - ١٣٠

والان تعال معي يا صاحبي قبل ان نتوغل في البحث لنحدد ما نسميه بالآثار الشعرية وبالأثر النثرية .

اعتاد مؤرخوا الأدب في عصرنا ، عصر الادب الكتاني ، ان يعرضوا مولدات الفكر البشري ، على المقاييس والموازن الادبية الحاضرة فقسموا التأليف قسمين متباينين ، وسموا الاول منها « شعراً » والثاني « نثراً » . واصطلحوا اكل قسم منها قواعد معينة ، وطرقاً محددة ، تفصله عن القسم الآخر ، وتبقيه الى ما شاء الله ضمن تحديدهم ومصطلحاتهم المتفق عليها . وما هذا الا اننا نستطيع في عصرنا هذا ان نصون ثراثنا الادبي من الضياع بفضل الكتابة التي تقوى على كر الايام ومضي الزمن وتقلبات الدهر ، فتحفظ الافكار المجردة عن الحس والخيال ، وابتعد التعابير عن الرنة والايقاع .

اما في العصر القديمة ، في عهد بداوة الشعب ، في عهد الانشاد عهد الادب الشفهي الاصيل ، قبل ان تعرف الامم الكتابة وتتخذها واسطة لتدوين الآثار الادبية والمولدات الفكرية ، اذ لم يكن من الممكن حفظ نبات افكار المفكر ومنتجات الاديب من الضياع وسيورتها بين قومه الا اذا صادفت من قلوبهم وترّاً حساساً ، وعرضت امام انظارهم صوراً



خلافة ، ونالت من مسامعهم مواقع موسيقية ، فلم يكن من مندوحة للمؤلف والاديب والمفكر عن الالتجاء الى هذه الطرق : العاطفة والخيال ، والموسيقى . وتكون هذه العناصر الاسس الرئيسية لما ندعوه في - عصرنا ( عصر الادب الكتابي ) شعراً . فاذاتناولنا اليوم تلك الآثار الادبية القديمة وتعرضنا اليها بشيء من البحث والنقد والتحليل والغربلة ، دوننا مراعاة للزمن الذي قيلت فيه ، وقسناها بموازيننا المادية الحاضرة ، فاطلقنا على ما وافق بحورنا منها « شعراً » ، وما خالفها « نثراً » ، وفي رأينا ان فعلنا ذلك نكون قد شططنا في فهم مدلول الادب بنسبتنا نظريات متأخرة استقامت لنا في عصر الادب الكتابي الى قوم عاشوا في عهد الأنشاد ، ( عصر الادب الشفهي الاصيل ) فلم يتسنى لهم معرفة الفرق بين الشعر والنثر في آثارهم الفنية كما لفرق المادي المحدد الذي نعرفه اليوم ؟

ولو انعمنا النظر في اناشيد هوميروس الملحمية لتحققنا انه لم يكن شاعراً ولا ناثراً ، وكذلك لم يكن داود النبي شاعراً ولا ناثراً في مزاميره ، ولم يكن سليمان الحكيم ايضاً شاعراً ولا ناثراً في اناشيده ، وكذلك لم يكن سائر انبياء اسرائيل شعراء ولا ناثرين في نبوآتهم ، ولم يكن « شعراء » الجاهلية

وخطباؤها وكهانها، شعراء ولا ناثرين في «قصائدهم» وخطبهم -  
 واسجاعهم . اجل لم يكن جميع هؤلاء شعراء ولا ناثرين  
 - طبقاً للمصطلحات الحاضرة - وذلك لأنهم لم يكونوا ليشعروا  
 بالفرق بين الشعر والنثر ... وانما كان لهم نوع واحد من  
 الانشاء الفني الادبي ، يؤثر في السامعين فيحملهم على الانتباه ،  
 فالاصغاء ، فالتأثر فالحفظ الى ما امكن الحفظ ، الا وهو  
 « الانشاد » نعم كان فنههم « انشاداً » وكانوا « منشدين » .  
 اننا نتحدث عن « الانشاد » ولكن ما هذا « الانشاد »  
 الذي نتحدث عنه ؟

انها لفظة تطلق على المجموعات الادبية التي قيلت في عصر  
 الانشاد الشفهي . وقد اصاب الاستاذ فؤاد افرام البستاني في تعريفه  
 للفظ « الانشاد » اذ قال : ( انما نستعمل لفظة « الانشاد »  
 للدلالة على هذا النوع من الانشاء الشفهي او من التعبير الفني  
 الذي كان يستند فيه الخطيب او « المنشد » الى عناصر حسية  
 وخيالية وموسيقية تقرر في الاذهان ، معتمداً اولاً على ذاكرته  
 ثم على تأثر الحاضرين . هذا من جهة المعنى . اما من جهة المبنى ،  
 او الاخراج المادي ، فقد كان يستند « المنشد » الى اسهل  
 الاساليب البديعية علوقاً بالاذهان واقربها الى الانغام الشعبية



العامة ، وهي التضاد ، والطباق والمقابلة بين التعابير والمقاطع ،  
والسجع خصوصاً . فإن السجعات كانت بمثابة محطات انشائية  
يقف عندها المنشد والسامع ، فيستريحان . ثم يتابعان طريقهما :  
الاول في الالتقاء ، والثاني في السماع والحفظ . وهناك ايضاً  
طريقة مهمة لاقرار « الانشاد » وهي تلك التريديدات  
والمراجعات ، والقوالب التعبيرية وما تجرّه احياناً من انواع  
التوقف الاستفهامي . وكلها اساليب لا يزال يلجأ اليها خطباء  
العصر ، ولا سيما المرتجلون منهم<sup>١</sup> .

هذا هو « الانشاد » وزمني به الفن الانشائي الذي يظهر  
عند الامم في بداوتها ، وفي عهد ادبها الشفهي فيكون فيها  
الادبي الرفيع ، ذلك الفن الذي يكون بمثابة الصلة بين « الشعر »  
و « النثر » . ولا نغالي اذا قلنا وجزّ منّا في القول ان ذلك الفن  
هو الاصل الذي يتفرع عنه « الشعر » و « النثر » ولا يلبثان  
حتى يستقلا كل الاستقلال في عهد الادب الكتابي .

والآن يتحتم علينا يا صاحبي ، قبل الشروع في الكلام على  
الخطابة في عهد الانشاد أن نجيب على هذا السؤال لنحل مشكلة

---

(١) راجع الشعر الجاهلي في الروائع ، فؤاد افرام البستاني ص ١٢ طبعة

ثالثة بيروت ١٩٤٩

معقدة اختلفت فيها النظريات وتضاربت حولها الآراء عند  
الباحثين قديماً وحديثاً . واما السؤال الذي نحن بصدد الاجابة  
عليه الآن فهو : اي هذين النوعين من الادب يسبق الآخر  
عادة الى الظهور في الامم والشعوب : الشعر ام النثر ؟ واي  
هذين الفنين من فنون النثر ، يكون اسبق الى الظهور عادة  
في الامم الكتابة ام الخطابة ؟

ولا شك ان الاجابة على هذا السؤال تتطلب منا ان  
نستعرض حياة الامة العربية ، التي كان شأنها في نشأتها كشأن  
سائر الامم . نشأت في البادية وعاشت حياة بدوية فطرية ،  
فكانت حديثه العهد بالوجود ، وحديثه العهد بالتكلم ، وكان  
كل فرد منها بطبيعة الحال منصرفاً الى قضاء حاجاته الساذجة ،  
لا يحتاج الا الى نوع من التفاهم البدائي البسيط . فما هي اذن  
اداة هذا التفاهم عند الامة العربية ، وعند كل امة ؟ لا شك ان  
تلك الاداة لغة التخاطب . وليست لغة التخاطب في هذا  
الطور لغة الخطابة بمعناها الواسع الفني ؛ وليست شعراً ولا  
كتابة ، وانما هي نثر غير فني ، وبحكم سنة التطور تنتقل هذه  
الجماعات من حياتها الساذجة الى حياة معقدة اكثر فاكثراً ،  
وتدخل طوراً جديداً من حياتها ، مخالفاً لحياتها الاولى ،



فتغلب في هذا الطور ، العاطفة على العقل الذي لم يكن قد  
نضج بعد ، وتبدأ حياة شعورية جديدة ، وبهذا الانتقال ، يا  
صاحبي ، تكون هذه الجماعات فرغت من التعبير عن حاجاتها  
الحيوية ، وافت نفسها مضطرة الى ان يتصل بعضها ببعض  
وبسواها . وكانت النتيجة الحتمية لهذا الاتصال ان تفجرت في  
قلوبهم العواطف المختلفة من مودة وخصومه ، وتعظيم وتحقير ،  
وميل وصدود ، فم يعبر القوم اذن عن هذه العواطف ، يا  
صاحبي ؟ ولما يخرجوا بعد من طور الامية الى طور الكتابة  
والقراءة ؟ لا شك انهم يعبرون عن خلجات نفوسهم وخواطرهم  
بالشعر وفي هذا الطور لا بد من وقوع خلافات ومنازعات  
بين افراد الجماعة الواحدة ، وبين جماعة وجماعة . وقد تؤدي هذه  
الخلافات والمنازعات الى حرب ضروس ؛ وهنا يمثل الشعر  
دوراً هاماً في اثاره العواطف وتحريك النفوس ، ولكننا  
نتساءل ، هل يكفي الشعر وحده لحل منازعات القوم ؟ وبيان  
ذلك ، اعتماد الخطيب على القرينة ، وعلى ذكاء السامع . فيحذف  
الجميل التي قد تنوب عنها اشاراته وحركاته وملاحمه ونبرات صوته .  
ولا يستطيع ان يحذف الكاتب ما يجذفه الخطيب من الجمل ،  
لان الكاتب لا يعتمد على القرائن التي يعتمد عليها الخطيب .

ولانه يكتب للغائب عنه . وربما كان الغائب عنه خالي الذهن  
من الموقف الذي يعبر عنه الكاتب ، او من الحالة التي يصدر  
عنها في الكتابة . واما شأن الخطيب ، فشأن المحدث ، يعتمد  
على الاشارة والخطاب لانها اقرب الى طبيعته . والشيء الذي  
يشير اليه الخطيب يكون غالباً قريباً منه ، ومن سامعه . واما  
مبعث مخالفة الخطيب في ارجاع الضمائر او عدم عنايته احياناً  
بهذا الارجاع ؛ كأن يقول الخطيب « انهم » وهو لم يسبق  
الضمير هنا بجماعة الذكور ؛ أو كأن يقول : « انها » وهو  
يقصد ان تعود على شيء ربما لم يكن يلائم الضمير . فنرى ان  
هذا مبعث العيب بالضمائر في لغة الخطابة . [ان الخطيب يعول  
على ذكاء السامعين وانه يعول ، ايضاً ، على قرينة يفهمها هو ،  
وفهمها سامعوه . وقبل ان نختتم الكلام في هذا الموضوع ،  
يجدر بنا ان نشير الى ظاهرة أخرى ، لا تقل اهمية عن سابقتها  
وهي ان كل فن من هذه الفنون ، يكون باديء ذي بدء ،  
متأثراً بخصائص الفن الذي سبقه الى الوجود الفعلي . ولا بد  
من ان تكون الخطابة في باديء امرها كثيرة الاسجاع ،  
قصيرة الجمل ، تكاد كل جملة منها ان تكون معنى مستقلاً بذاته  
عن الآخر : فخصائص الخطابة اذن ، خصائص الشعر من



وجهة عامة . ولا شك ان هذه الخصائص صفة الوحدات او  
 الابيات التي ينقسم اليها الشعر من وجهة خاصة وتبقى الخطابة  
 مقيدة بلغة الشعر حتى يتقدم بها العهد ، وتتحرر شيئاً فشيئاً عن  
 هذه القيود ، وتصبح لها مميزاتها ، التي تستقل بها عن الشعر جملة  
 واحدة . [ وآية ذلك ، ] يا صاحبي ان لغة الخطابة في عهد الانشاد  
 كانت تمتاز بالجل القصيرة والاسجاع الكثير او بالحكم التي وضع  
 بعضها الى جانب بعض كما توضع الابيات من الشعر سواء بسواء  
 ولا ريب ان لغة الكتابة تشارك لغة الخطابة في بعض خصائصها  
 كالايجاز ، والحذف ، والمخالفة في ارجاع الضمائر احياناً . [   
 وهذا مما يجعل الكتابة غامضة ملتوية ، كثيرة التعقيد والدوران  
 وتبقى الكتابه كذلك حتى تتخلص رويداً رويداً من هذه  
 القيود ، والاضاع ، فتصل الى مثلها الاعلى ، وتظفر بحريتها  
 وخصائصها ، التي تميزها عن خصائص الخطابة بنوع خاص .   
 ] بقي علينا ان نورد لك نماذج من خطب عهد الانشاد ،  
 وهي قطع من الوعظ ، يغلب عليها الايجاز ، وتكثر فيها الجمل  
 القصيرة . ومواطن السجع فيها كثيرة ، متينة التركيب ،  
 حسنة الرصف ، سهلة العبارة تكاد تخلو خلواً تاماً من غريب  
 الالفاظ ، ووحشي الكلام . [ ولعلك تذكر قس بن ساعدة

الايادي امام الخطباء في عهد الانشاد ، واجلهم قدراً ؛ وهو  
 مسيحي من نصارى نجران . ويقال انه اول من صعد المنبر ،  
 وقال : « اما بعد » . وكان زاهداً في الدنيا يضرب المثل  
 بفصاحته ويروى انه ادرك النبي وسمع منه خطبته المشهورة التي  
 انشدها في سوق عكاظ ، وهي خطبة قصيرة الجمل كثيرة  
 الاسجاع . اذا استثنينا آخرها ، فهي تفيض بالسهولة واللين ،  
 واليك بعضها : « ايها الناس . اسمعوا وعوا . واذا سمعتم شيئاً  
 فاتقوا ، انه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو  
 آت آت ، ان في السماء خبراً ، وان في الارض لعبراً . ليل داج  
 وسماء ذات ابراج ، وارض ذات فجاج ، وبجار ذات امواج ،  
 ما لي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ ارضوا المقام فاقاموا  
 ام تركوا هناك فناموا ؟ ؟ تبتاً لارباب الغفلة والامم الخالية  
 والقرون الماضية ! يا معشر اباد ، اين الاباء والاجداد ، واين  
 المريض والعواد ، واين الفراعنة الشداد ؟ اين من بنى وشيد ،  
 وزخرف ونجد ؟ اين من بغى وطغى ، وجمع فاوعى وقال اناربكم  
 الاعلى ؟ الم يكونوا اكثر منكم اموالاً ، واطول آجالاً ؟ طعنهم  
 الثرى بكلكله<sup>١</sup> ، ومزقهم بطوله<sup>٢</sup> فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم

( ١ ) كلكله : بصدرة

( ٢ ) بطوله : بقوته



خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلاً ، هو الله الواحد المعبود ، ليس  
بوالد ولا مولود .

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر ، لما رأيت موارد  
للموت ليس لها مصادر ، ورأيت قومي نحوها يمضي الاصغر  
والاكبر ، لا يرجع الماضي الي ، ولا من الباقي غابر ، ايقنت  
اني لا محالة ، حيث صار القوم صائر . »

ولعلك تذكر ايضاً اكثم بن صيفي ، وهو احد خطباء عهد  
الانشاد ، وزعيم الخطباء الذين اوفدهم النعمان ملك الحيرة الى  
كسرى ، ويروى انه ادرك الاسلام . وكان يعرف بقوة  
الحجة ، وكثرة الحكم ، والامثال التي تمتاز بالشدة ، والايجاز ،  
واليك شيئاً من اقواله :

« ان افضل الاشياء اعاليها — ا . واعلى الرجال ملوكها .  
وافضل الملوك اعماهم نفعاً وخير الازمنة اخصبها . وافضل  
الخطباء اصدقها .

الصدق منجاة . والكذب مهواة . والشر لجاجة ، والحزم  
مركب صعب . والعجز مركب وطيء . اصلاح فساد الرعية  
خير من اصلاح فساد الراعي . شر البلاد بلاد لا امير فيها ،  
وشر الملوك من خانة البري . . » .

(١) غابر : باق

## الباب الثاني النثر في صدر الاسلام

### الفصل الاول القوآت

قال صاحبي : حدثنا عن النثر في صدر الاسلام ، وأود لو تبدأ حديثك عن هذه الحقبة ، بذلك الحدث العظيم الذي ظهر عند منبثق الاسلام ؛ واعني به القرآن . قلت : « يقع القرآن يا صاحبي في مائة وثلاث عشرة سورة ما عدا الفاتحة . وهو اول كتاب عربي ، جمع من الرقاع ومن صدور الحفاظ في عهد ابي بكر ، ثم سلم لعمر بن الخطاب ؛ وبعده اودع عند حفصة ابنته ثم سلم الى عثمان بن عفان ، حيث ضبط ، ونسخ ووزع على الامصار . واما نزوله يا صاحبي ، فقد كان آية آية ، حسب الحاجة ومقتضيات الحال ، في ثلاث وعشرين سنة . وكان اول ما نزل منه الآيه ( ١ ) : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » . نخلق

---

( ١ ) سورة العلق ، الآيات الثلاث الاولى



الانسان من علق<sup>١</sup> . إقرأ وربك الاكرم . » وآخر ما نزل منه الآية (٢) : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ويقسم المؤرخون سور القرآن الى قسمين : قسم مكي ، وقسم مدني . فالمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها . والمكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة ؛ والمكي ما جاء خطاباً لاهل مكة . والمدني ما جاء خطاباً لأهل المدينة . ولا ريب ان نزول القرآن كان اعظم حادثة في تاريخ الاداب العربية . وانه يعد انموذجاً للادب العربي ولو ان الشعور الديني في العالم الاسلامي يتيح للباحثين تناوله بالبحث من الناحية الفنية ، لاستخرجوا منه تحفاً فنية ادبية رائعة . ويحتم علينا ، يا صاحبي ، الاجابة على سؤال تضاربت الآراء في الاجابة عليه « أشعر القرآن ام نثر ؟ » وقد سبق للدكتور طه حسين ان قال : « القرآن ليس شعراً ولا نثراً ، ولكنه قرآن » ولعلنا لا نقسو على الدكتور طه حسين اذا قلنا ان في رأيه مراعاة للشعور الديني . وفي هذا مخالفة لقواعد النقد العلمي الحديث الذي يتجرد من كل عاطفة ، قومية كانت ام دينية . ونحن نشاطر الدكتور زكي مبارك في مخالفته لرأي

الدكتور طه حسين . لأننا نرى ان القرآن نثر ، واسلوبه يمثل  
الاساليب النثرية في تلك الايام . ولو انعمنا النظر في القرآن ،  
ودققنا في اسلوبه ، لرأيناه لم يخرج في الفاظه واساليبه عن القصص  
الديني واسجاع الكهان التي كانت شائعة في الحلقات الدينية قبيل  
ظهور الدعوة الاسلامية . اصف الى ذلك كثرة السجع والموازنة  
فيه ولم يكن القرآن جديداً على العرب الا في دعوته الى  
التوحيد ومبادئه الروحية ، وسمو بيانه ، وقوة اعجازه . ولو  
لم يألّف العرب اساليب القرآن ، والفاظاً مثل الفاظه ، ولغة مثل  
لغته ، لما استطاعوا ان يفهموه ولا أن يجادلوا فيه مدة غير  
يسيرة من الزمن . وقد ذكر الباقلاني ، يا صاحبي ، في كتابه  
« اعجاز القرآن » أن القرآن ليس من جنس كلام العرب ،  
وانكر ان يكون فيه سجع ، مع ان السجع فيه كثير ، الا  
انه لا يلتزمه التزام مقامات بديع الزمان والحريري ، وما  
شاكلها . اصف الى ذلك ان القرآن ، يصف نفسه بلسان عربي  
مبين .

لقد فتح القرآن بحق صفحة جديدة في تاريخ النثر العربي ،  
اذ سطرت في اعلى هذه الصفحة آي الذكر الحكيم التي كان  
يتلوها محمد ﷺ ، فيقول الوليد بن المغيرة أحد خصومه :



« والله قد سمعت من محمد كلاماً ، ما هو من كلام الانس والجن  
وان له خلاوة ، وان عليه لطاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان  
اسفله لمغدق<sup>١</sup> . ويلاحظ الوليد ملاحظة خاطئة وهي ان القرآن  
لا يماثل كلام الانس ولا كلام الجن الذي كان يجري على السنة  
كهمهم ، بل هو طراز وحده ، وانه لطرارز يجعلنا لا نؤمن بما  
آمن به الباقلائي وغيره من علماء العصر العباسي ، اذ ذهبوا الى  
أن القرآن ليس شعراً وليس نثراً من مألوف نثر العرب ، بل  
هو اسلوب خاص<sup>٢</sup> يقف وحده ، وله بلاغته ، بل اعجازه الذي  
انقطعت دونه آمال العرب في محاكاته او الاتيان بشيء  
من مثاله .

وهذا ما حمل الدكتور شوقي ضيف ان يقول في كتابه  
« الفن ومذاهبه في النثر العربي » . « ولما كان القرآن الكريم  
تفرد له الابحاث الخاصة وكان يعتبر من اسلوب فريد لا شعر

---

(١) انظر تفسير الطبري والزمخشري في سورة المدثر وانظر السيرة لابن  
هشام ١ - ٢٨٩

(٢) اعجاز القرآن للباقلائي طبع مطبعة الاسلام ص ٣١ . وانظر ايضا  
مقدمة ابن خلدون طبع المطبعة البهية ص ٤١٧ .

(٣) شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٧ طبع مطبعة التأليف  
والترجمة والنشر . القاهرة ٣٦٥ ١٩٤٦ م

ولا نثر ، لذلك لن نعرض له في هذا البحث .  
ونحن نؤمن ان القرآن كلام الله وانه تنزيل من لدن حكيم  
عليم ، ولا ننكر على القرآن قوة اعجازه ، ولكننا نرى ان  
الباقلاني ومن ذهبوا مذهبه لم يصيبوا كبد الحقيقة ولعلمهم تعاملوا  
عنها ارضاء للعواطف الدينية . ولو استعرضنا بعض السور  
المكية ، لرأينا السجع يغلب عليها ، وتكثر فيها الفقرات القصيرة  
دون تقيد بالقوافي وكثيراً ما ينتهي بفواصل متقاربة يتوالى فيها  
اقسام شديدة الوقع ، كقوله تعالى : والنازعات نزعاً .  
والناشطات نشطاً . والساجات سبجاً . فالسابقات سبقاً .  
فالمدبرات أمراً (١) . » وجمل مصدره باذا الشرطية كقوله  
تعالى : اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت . واذا  
الكوكب انتشرت<sup>٢</sup> » ولو تتبعنا آيات سورة المرسلات  
وسورة الرحمن لرأينا فيها كثرة الازدواج المسجوع تارة وغير  
المسجوع تارة ، وللمسنا في السورة الاولى تكرار الآية « ويل  
يومئذ للمكذابين . » وفي السورة الثانية تكرار الآية فبأي آلاء  
ربكما تكذبان » كأنهما لازمتان شعريتان . ويسود في القرآن

(١) سورة النازعات . الايات الخمس الاولى

(٢) سورة التكوير . الايات الثلاث الاولى



النفس الخطابي . وقد خاطب المشركين ، بقوله : « يا ايها الناس » . وخاطب المؤمنين بقوله : « يا ايها الذين آمنوا » . فهو يندفع في الكلام اندفاعاً خطابياً في بعض السور المدنية ، كما هو الحال في مثيلاتها من السور المكية . واذا قرأنا الآيات التالية ، وقارناها بالآيات المكية القديمة ، نشعر اننا انتقلنا من حال الى حال من حيث قوة العبارة ، وانفعال النفس ، لا من حيث التركيب البياني : « ان الدين عند الله الاسلام . وما يختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب <sup>١</sup> » . « فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ، ومن اتبعني . وقل للذين أوتوا الكتاب والامين أسلمتم ، فان اسلموا ، فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليكم البلاغ ، والله بصير بالعباد <sup>٢</sup> » . « ان الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين <sup>٣</sup> » . وفي القرآن يا صاحبي

(١) سورة آل عمران آية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ٢٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٨ .

من ضروب البلاغة ، ودقة الإشارة<sup>١</sup> ، واحتباك العبارة<sup>٢</sup> ،  
وحسن الايقاع ( يقصد به رصف الكلام رصفاً متناسب الاجزاء )  
وروعة الانتقال ( وتعني الوثوب من معنى الى اخر او من حال  
الى حال ) ، وجمال التمثيل ( ويقصد به ابراز التمثيل في صورة  
المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه شاهد ، وهو  
يؤثر في القلوب . « ما لا يوصف ولا يجارى ، وستظل النفوس  
الى ما شاء الله تشرئب الى تقليده ، والاعناق تتطاول الى  
معارضته . ونحن اقصر باعاً من ان نلم بما في القرآن من ضروب  
البلاغة ، لانه وحده المصدر الاوحد ، والعامل الباعث لما صنفه  
العلماء من علوم المعاني والبيانات ، والصرف والنحو . هذا  
بالاضافة الى كتب التفسير والتشريع وسواها ، وقد وضع  
ارباب البلاغة في بلاغته مصنفات كثيرة ، وقد جاء في « مفتاح  
السعادة » على من يتعرض لدرس القرآن وتفسيره ان يتعمق في  
علوم كثيرة من علوم البلاغة : كالمعاني ، والبيان ، والبديع .  
وهذه العلوم عند العلماء من اعظم دعائم اصول التفسير ،

- 
- ( ١ ) دقة الإشارة : عرض المعنى بأقل ما يمكن من الالفاظ او العبارات .  
( ٢ ) احتباك العبارة : ومعنى الاحتباك الشدة والاحكام وتحسين اثر الصنعة في  
الثوب بسد ما بين خيوطه من الفرج واحكامه مع بقاء الحسن والروعة .



والركن الضروري الذي يعتمد عليه المفسر ليتسنى له ادراك  
الاعجاز في القرآن ، ولا يتوفر له ذلك الا اذا اجتمعت لديه  
هذه العلوم . وقال السكاكي في حق المعاني والبيان : « فالويل  
كل الويل لمن يتعاطى التفسير ، وهو فيها راجل » وقد افرد  
العلماء لبدائع القرآن مصنفات كثيرة ، وعددوا من بدائع مائة  
نوع او تزيد .

قلنا ، يا صاحبي ، آنفأ ان احتباك العبارة ودقة الاشارة  
من ظواهر بلاغة القرآن ، وهنا نحن نورد لك بعض الآيات  
لتتبين ذلك بنفسك : « فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً  
ان عليك الا البلاغ . وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها  
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم ، فان الانسان كفوراً » .  
« سيأهم في وجوههم من اثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة  
ومثلهم في الانجيل كزراع اخرج شطأه ، فأزره فاستغلظ  
فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد  
الله الذين آمنوا ، وعملوا الخ الآية » - ٢ .

« قال بل القوا ، فاذا حباهم ، وعصيهم ، نخيل اليه من

---

(١) سورة الشورى آية ٤٨ .

(٢) سورة الفتح . آية ٢٩ .

سحرهم انها تسعى « ١ —

والادلة كثيرة في آي القرآن ، على احتباك العبارة ، ودقة  
الاشارة . والذي ينعم النظر في ما جاء في هذا الباب من آي  
القرآن يلمح فيها الحذف والتقدير .

ومن ظواهر بلاغة القرآن ، حسن الایقاع ، والرنات  
المطربة ، وتتجلى في أسلوبه الروعة الخطابية ، والوثبات العاطفية  
ولذلك نرى فيه كثيراً من ضروب البلاغة كالتكرار ،  
والتمثيل ، والتفخيم ، وما شاكلها . ويمتاز القرآن ايضاً بتقديم  
القيود على المقيدات ، والصفات على الموصوفات . واليك بعض  
الادلة على ذلك من آي القرآن ننقلها عن « مفتاح السعادة » :  
وقد اخذها صاحبه عن احكام الرأي في احكام الآي « للشيخ  
شمس الدين بن الصائغ :

تقديم ما هو مؤخر في الزمان نحو : « فله الآخرة والاولى »<sup>٢</sup>  
تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو : « ونخرج له يوم  
القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » — ٣ .  
تقديم الضمير على ما يفسره ، نحو : « فأوجس في نفسه

---

(١) سورة طه . آية ٦٦

(٢) سورة النبي آية ٢٥

(٣) سورة الاسراء آية ١٣



خيفة موسى « ١ .

- اِثَارَ تذكير اسم الجنس ، نحو : « اعجاز نخل منقعر »<sup>٢</sup> .  
« تأنيث » ، نحو : « أعجاز نخل خاوية »<sup>٣</sup> .  
اِيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر ، نحو : « فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين »<sup>٤</sup> . ( ولم يقل الذين كذبوا )  
اِثَارَ اغرب اللفظين ، نحو : « قسمة ضئزى »<sup>٥</sup> ( ولم يقل جائرة ) حذف اسم المفعول : « ما ودعك ربك وما قلى »<sup>٦</sup>  
الاستغناء بالافراد عن التثنية . نحو : « فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى »<sup>٧</sup> ( بدل فتشقيان ) .  
اجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو : « رأيتهم لي ساجدين »<sup>٨</sup>  
( عن القمر والنجوم ) .  
العدول عن الماضي الى الحاضر ، نحو : « فريقاً كذبتم

---

( ١ ) سورة طه آية ٦٧

( ٢ ) سورة القمر ٢٠

( ٣ ) سورة الحاقة آية ٧

( ٤ ) سورة العنكبوت ٢

( ٥ ) سورة النجم آية ٢

( ٦ ) سورة الضحى آية ٣

( ٧ ) سورة طه آية ١١٧

( ٨ ) سورة يوسف آية ٤

وفريقا تقتلون <sup>١</sup>»

تغيير بنية الكلمة ، نحو : « طور سينين » <sup>٢</sup> ( بدل سيناء )

وقوع اسم المفعول بدل الفاعل ، نحو : « حجابا مستورا »

بدل ( سائراً ) .

ولنضرب لك الآن بعض الامثال على روعة الانتقال في

القرآن ، لتقف بنفسك عليها ، وتري كيف ينتقل من الخبر الى

السؤال ، ومنه الى النداء ، ثم الالتفات انتقاليًا يزيد في تأثير

الكلام ، وقوة وقعته : « ان الذين يلحدون في آياتنا ، لا

يخفون علينا . أفمن يلقى في النار خير ، ام من يأتي آمنا يوم

القيامة . اعملوا ما شئتم ، انه بما تعملون بصير » <sup>٣</sup>

« فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » <sup>٤</sup> .

« واخل فرعون قومه وما هدى » <sup>٥</sup> .

« يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم ، وواعدناكم

---

( ١ ) سورة آية

( ٢ ) سورة المين آية ٢ .

( ٣ ) سورة فصلت آية ٤ .

( ٤ ) سورة طه آية ٧٨ .

( ٥ ) » » » ٧٩ .



جانب الطور الايمن ، ونزلنا عليكم المن والسلوى «<sup>١</sup>  
 « واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل اناس مشربهم .  
 كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين «<sup>٢</sup> .  
 وقد ذكر الصفيدي في «الغيث المنسجم في شرح لامية العجم»  
 نوعاً آخر من الالتفات<sup>٣</sup> اسماء الالتفات ، من اسلوب الى  
 اسلوب ، او الخروج من نوع الى نوع ، وسلوك سبيل بعد  
 سبيل ، حتى عد التخلصات الشعرية منه . وقال الاستاذ انيس  
 المقدسي في معرض كلامه عن ظواهر بلاغة القرآن في « تطور  
 الاساليب النثرية » .

« فاذا التفتنا الى القرآن نجد هذا النوع من الالتفات عاماً ،  
 فكثيراً ما ينتقل في السورة الواحدة من قصة الى قصة ، ومن  
 موقف الى موقف انتقالاً فجائياً قد يجد فيه القاريء ، او  
 السامع تطرية لنشاطه . واذا دققنا النظر في الالتفات ، وبجئنا  
 في الغاية من العدول عن صيغة الى اخرى ، او عن موقف الى

(١) » » ٨٠ .

(٢) » البقرة اية ٦٠ .

(٣) الالتفات ويراد به الانتقال من صيغة الى صيغة .

آخر ، وجدنا ان ذلك لا يكون الا خصوصية بلاغية كالتعظيم  
او التحقير ، او التوكيد ، او الايضاح ، وهو لذلك من اوجه  
البلاغة بل من اركانها الرئيسية ، ثم ضرب الامثال على هذا  
النوع من الالتفات من آي القرآن فليراجع في « تطور  
الاساليب النثرية » .

واما امثال القرآن فهي قسمان . جاء القسم الاول منها على  
سبيل التشبيه ، ومنه قوله تعالى في سورة الرعد : « قل هل يستوي  
الاعمى والبصير وهل تستوي الظلمات والنور ، ام جعلوا لله  
شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم . قل الله خالق كل  
شيء ، وهو الواحد القهار ، انزل من السماء ماء فسالت اودية  
بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار  
ابتغاء حلية او متاع زبد مثله . كذلك يضرب الحق والباطل ،  
فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ،  
كذلك يضرب الله الأمثال <sup>١</sup> » . ومنه ما جاء في سورة الكهف  
« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط  
به نبات الارض فاصبح هشياً تذروه الرياح ، وكان الله على



كل شيء مقتدرًا « ١ .

وأما القسم الثاني فقد جاء أمثالا وحكما بالغة ، وهي كثيرة  
نُثبت منها هنا ، قوله تعالى : « قل لا يستوي الخبيث والطيب  
ولو أعجبك كثرة الخبيث » ٢

« لا يكلف الله نفساً الا وسعها » ٣

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » ٤

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ٥

« قضي الامر الذي فيه تستفتيان » ٦

« الآن حصحص الحق » ٧

« وما على الرسول الا البلاغ » ٨

ومن التمثيل ما ورد في القرآن على سبيل القصص وهو  
كثير . والقصص نفسه كثير في القرآن متفرق فيه ، يكاد يشغل

---

( ١ ) سورة الكهف آية ٤٥

( ٢ ) سورة آية

( ٣ ) سورة البقرة آية ٢٨٦

( ٤ ) سورة آية

( ٥ ) سورة آل عمران ٩٢٠

( ٦ ) سورة يوسف آية ٤١

( ٧ )

( ٨ ) سورة يوسف آية ٥١

معظم اجزائه ، كقصص الانبياء ، واخبار اصحاب الاعداء واصحاب الكهف . وقد اعاب المستشرق نولدكه Noldecke اسلوب القصص القرآني ، وتراءى له الضعف فيه ؛ وحبته في ذلك عدم تسلسل الخبر ، وكثرة التكرار في العبارات القرآنية وكأني بنولدكه أراد أن يقارن بين اسلوب القصص في القرآن وبينه في التوراة . وهذا خطأ لاختلاف الغرض فيهما ، ولأن القرآن يكتفي بالإشارة تارة ، ويكرر أخرى ، ويطيل ثالثة . ويأتي القصص في القرآن على سبيل التذكير والتهويل في اسلوب خطابي . وهذا ما يجعل تسلسل الخبر فيه متعذراً . وأما التوراة ففيها حوادث تاريخية منظمة تجري فيها الاخبار مجراها الواضح العادي ؛ اذ إلى ذلك الامثال ، واسفار الانبياء ، والاناشيد الروحية والحق ان بحث نولدكه حري بالدرس فليراجع في دائرة المعارف البريطانية . بقي ان نجيب ، يا صاحبي ، على سؤال اختلف في الاجابة عليه الباحثون . وهو : أعربي القرآن ام اعجمي ؟ . والجواب على السؤال في القرآن صريح . ولا يعني وجود بعض الالفاظ الاعجمية فيه انه اعجمي كأباريق ، وسندس ، واستبرق . فالمعرب عرفوا هذه الالفاظ وعربوها وقد عدد هذه الالفاظ ، وشرح معانيها ، ونقب عن اصل كل



لفظة الاستاذ انيس المقدسي في معرض كلامه عن غريب القرآن  
في « تطور الاساليب النثرية » فليراجع . ولا مجال للشك في ان  
القرآن عربي لغته الحجازية وليس بأعجمي . ومجمل القول ان  
القرآن في اسلوبه لا يجارى لما فيه من ضروب البلاغة ، وحسن  
السبك وفصيح العبارة ، وقوة التأثير على النفوس وجمال الایقاع  
وحسن التخلص من موضوع الى آخر من قصص ووعيد  
وتهديد وتشريع ويرجع اليه وحده الفضل في حفظ اللغة العربية  
وقد اكسبها مرونة والفاظاً لم تعهدها من قبل .

انتهى الجزء الثاني

## اسئلة

- ١ تحدث عن الامثال القديمة
- ٢ تحدث عن سجع الكهان
- ٣ تحدث عن الخطابة في عهد الانشاد

## فهرست الجزء الثاني

- |         |                                     |
|---------|-------------------------------------|
| صفحة ٢  | الفصل الرابع الامثال القديمة        |
| صفحة ١٤ | الفصل الخامس سجع الكهان             |
| صفحة ٢٢ | الفصل السادس الخطابة في عهد الانشاد |
|         | الباب الثاني النثر في صدر الاسلام   |
| ٤١      | الفصل الاول - القرآن                |



# منشورات المؤلف

## النقائس

الوصف في شعر النابغة الذبياني

وصحة نسبة الشعر الجاهلي

الوصف في شعر امرئ القيس

مراحل النشر القديم الجزء الاول

مراحل النشر القديم الجزء الثاني

مراحل النشر القديم الجزء الثالث

الوصف في شعر الاعشى

الوصف في شعر زهير

الوصف في شعر لبيد

الوصف في شعر طرفه

الوصف في شعر عنتره

الوصف في شعر عمرو بن كلثوم

(تحت الطبع)

(يظهر قريباً)

(جاهز للطبع)

(جاهز للطبع)

(جاهز للطبع)

(جاهز للطبع)

(جاهز للطبع)

|                                |              |
|--------------------------------|--------------|
| القرآن اول كتاب نشري عند العرب | (جاهز للطبع) |
| اعجاز القرآن                   | (جاهز للطبع) |
| بلاغة القرآن                   | (جاهز للطبع) |
| الوصف في شعر النابغة الجعدي    | (جاهز للطبع) |
| الخطابة في العصر القديم        | (جاهز للطبع) |
| الخطابة في العصر العباسي       | (جاهز للطبع) |
| عبد الله ابن المقفع            | (جاهز للطبع) |
| الجاحظ                         | (جاهز للطبع) |
| الحسن بن سهل                   | (جاهز للطبع) |
| فن الترسل في العصر العباسي     | جاهز للطبع   |
| المعري                         | « «          |
| الحريري                        | « «          |
| بديع الزمان الهمزاني           | « «          |
| ابن عبد ربه والعقد الفريد      | « «          |
| الاصبهاني صاحب الاغاني         | « «          |
| ابن العميد                     | « «          |
| القاضي الفاضل                  | « «          |



## مؤلفات اخرى

الحب والجمال      الطبعة الثانية جاهزة للطبع  
احاديث الامسيات ( نفذ ) وصدرته الحكومة الاردنية  
على مسرح الحياة ( الجزء الاول )  
مصرع العدالة . منع من دخول الاردن والعراق والمغرب  
العربي والسعودية والمحميات  
ضحايا وقرابين . صدرته الحكومة العراقية ومنع من  
دخول الاردن والسعودية والمغرب العربي والكويت والبحرين  
واليمن والمحميات

خليجات واحاسيس ( تحت الطبع )  
على مسرح الحياة ( الجزء الثاني يصدر قريباً )  
منتخبات من التراث الانساني      يصدر قريباً  
هل العرب بشر ؟      يصدر قريباً  
ايام مع ليلى الجميلة      يصدر قريباً  
ذات العينين الخضراوين      يصدر قريباً











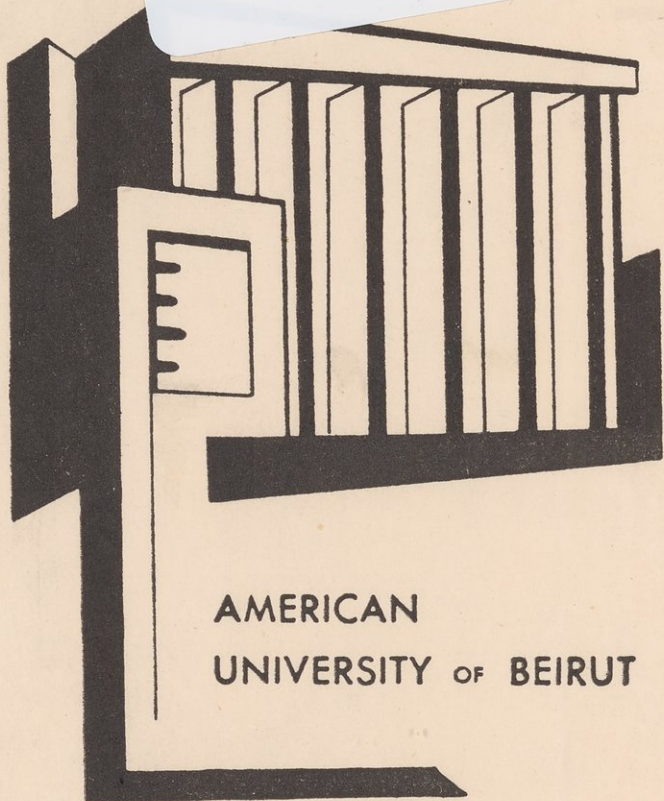
[illegible]

القاضي، طه محمد  
التفانيس: سلسلة أدبية تبحث في الشعر و

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01033340



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT



892.709  
Q612nA